





غـزة - فلسـطين

هَـذِهِ المَـادَّةُ الإِلِكْـتُرونِـيَّةُ PDF مِنْ إِعْـدَادِ **شَبَكَـةِ (بَـلِّغُوا عَنِّي العَالَمِيَّةُ)**، وَإِصْدَارَاتِـهَـا الحَدِيثَةِ الخَاصَّةِ؛ لِلمُطَالَعَةِ الهَـاتِفِيَّةِ وَاللَّـوْحِيَّةِ وَالحَـاسُوبِيَّةِ.

(سَاهِمْ بِالنَّشْرِ أَخِي الكَرِيمَ، وَأَهْدِهَا لِمَنْ تُحِبُّ؛ جَزَاكَ اللَّه تَعَالَى خَيرًا، فَالدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ☺)










أَبُو عَبْدِ اللهِ زَكَرِيَّا بْنُ طَهَ شُحَادَة

:: لِزيارَةِ المَنَصَّاتِ الإلكترونِيَّةِ؛ اضغَطْ على الأَيْقُونَةِ المُقابِلَةِ لِكُلِّ مَنَصَّةٍ ::

الموقعُ الرَّسْميُّ | قناةُ اليوتيوب

صفحةُ الفيسبوك | مجموعةُ الفيسبوك

قناةُ التليغرام | مجموعةُ التليغرام

مجموعاتُ الواتساب

حسابُ تويتر | حسابُ إنستغرام

مجموعةُ سنقال - Signal | قناةُ Bip | مجموعةُ Bip








# القَارِئُ الكَرِيمُ

❖ اقْرَأ هَذَا الكِتَابَ بِنِيَّةِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ، وَلَا خَيْرَ فِي عَمَلٍ بِلَا نِيَّةٍ خَالِصَةٍ.

❖ قِفْ عِنْدَ كُلِّ عُنْوَانٍ، وَأَحْضِرْ لَهُ نِيَّةً خَالِصَةً؛ فَإِنَّ أَجْرَ الْعَبْدِ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَىٰ قَدْرِ نِيَّتِهِ.

❖ كَتَبَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: «اعْلَمْ يَا عُمَرُ أَنَّ عَوْنَ اللهِ لِلْعَبْدِ بِقَدْرِ نِيَّتِهِ، فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ؛ تَمَّ عَوْنُ اللهِ لَهُ، وَمَنْ نَقَصَتْ نِيَّتُهُ؛ نَقَصَ عَنْهُ مِنْ عَوْنِ اللهِ بِقَدْرِ ذَلِكَ»[1].

❖ لا تَتْرُكِ الكِتَابَ حَتَّىٰ تُتِمَّهُ عَنْ آخِرِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ صَفَحَاتِهِ تُصِيبُ البَرَكَةَ، ولَعَلَّ آخِرَهُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ أَوَّلِهِ.

---

(1) انظرْ: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لِمُرْتَضَىٰ الزّبيدي: 2/ 312.



❖ إِذَا قَضَيْتَ حَاجَتَكَ مِنَ الكِتَابِ؛ فَأَهْدِهِ أَوْ أَهْدِ نُسْخَةً أُخْرَىٰ لِمَنْ تُحِبُّ مِنْ إِخْوَانِكَ المُسْلِمِينَ؛ فَلَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ؛ فَيَكُونُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، ولَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْكَ، وَفِي الحَدِيثِ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1].



(1) أخرجه الترمذي في سننه، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.





# مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، حَمْدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيهِ، كما يُحِبُّ ربُّنَا، ويَرْضَىٰ، وكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ، حَمْدًا يَمْلأُ السماواتِ والأرضَ وما بينَهما، وما شاءَ ربُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، بِمَجَامِعِ حَمْدِهِ كُلِّها: ما عَلِمْنَا مِنْهَا، ومَا لَمْ نَعْلَمْ؛ علىٰ نِعَمِهِ كُلِّها: مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، ومَا لَمْ نَعْلَمْ؛ عَدَدَ ما حَمِدَ الحامِدُونَ، وغَفَلَ عن ذِكْرِهِ الغافلونَ، وعَدَدَ ما جَرَىٰ به قَلَمُهُ، وأَحْصَاهُ كتابُهُ، وأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ.

وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّم ورَضِيَ وبَارَكَ علىٰ سَيِّدِنَا وإِمَامِنَا؛ مُحَمَّدٍ، وعلىٰ سَائِرِ الأَنْبياءِ والمُرْسَلينَ، وعلىٰ آلِهِ، وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وعَنِ التَّابِعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَىٰ يومِ الدينِ، وبعد.

فإِنَّهُ لا أعظمَ فِي أرضِ اللهِ تعالىٰ مِنْ بيوتِ اللهِ ﷻ؛ ولقدْ عَظُمَتِ المساجِدُ بتعظيمِ اللهِ تعالىٰ لَهَا، وبتعظيمِ رسولِهِ ﷺ؛ فَهِيَ مهوَىٰ أفئدةِ الصالحينَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجالِ؛ وَفِيها وإِلَيْهَا مَوْطِئُ أقدامِهِمْ، وَهِيَ مِضْمَارُ



سِباقِهِمْ، وثَغْرُ رِباطِهِمْ، ومَقْصِدُ حَجِّهِمْ وعُمْرَتِهِمْ، ومَوْطِنُ اعتكافِهِمْ، وهي بُيُوتُهُمُ التِي هِيَ بُيُوتُهُمْ.

تَغْدُو مَعَهُمُ ملائِكَةُ اللهِ ﷻ إليها بِرَاياتِهِمْ، وفيها الملائكةُ جلساؤُهُمْ وعُوَّادُهُمْ، وفِيها تَشَبُّهُهُمْ فِي صُفوفِهَا بِمَلَائِكَتِهِمْ...

فيها يُصَلِّي اللهُ تعالَىٰ عليهم وملائِكَتُهُ صلاةً عظيمَةً، وعَلَىٰ مَجالِسِهَا تَتَنَزَّلُ السَّكِينَةُ، وتَتَغَشَّىٰ مَجامِعَهَا الرَّحْمَةُ، وتَحُفُّ أَهْلَهَا الْمَلَائِكَةُ، ويَذْكُرُ اللهُ تعالىٰ عُمَّارَهَا فِيمَنْ عِنْدَهُ؛ مُباهَاةً وتَكْرِمَةً فِي مَلَأِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ...

مِنْهَا يَقْبِسُونَ نُورَهُمُ التَّامَّ فِي مَواقِفِ القيامَةِ وظِلَّهُمُ الظَّلِيلَ مِنْ حَرِّ شمسِهَا، وَجَوازَهُمُ السَّرِيعَ عَلَىٰ مَتْنِ صِرَاطِهَا.

فِيهَا ضَحِكُ الرَّبُّ الجَلِيلُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ بِزِيارَتِهِمْ، وَفِيهَا كَرَمُهُ لَهُمْ وَكَرَامَتُهُ: مَغْفِرةً لِذُنُوبِهِمْ، ورِفْعَةً لِدَرَجَاتِهِمْ، وِهَدايَةً لِنُفُوسِهِمْ، وطُمَأْنِينَةً لِقُلُوبِهِمْ، وقُرَّةَ عُيونٍ لِعُيونِهِمْ، وَفِيهَا مِنَ النِّفَاقِ وَمِنَ النَّارِ أَمْنُهُمْ وأَمَانُهُمْ...

الخُطَا إِلَيْهَا خُطًا فِي سبيلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ واحِدَتُهَا بِأَجْرِ سَنَةٍ صِيَامًا وقِيَامًا؛ وَهِيَ قُنُوتُهُمْ وقِيَامُهُمْ وقَرَابِينُهُمْ إِلَىٰ سَيِّدِهِمْ ومَلِيكِهِمْ، إِلَيْهَا قَصْدُ

حَجِّهِمْ وعَمَارَةُ اعْتِمَارِهِمْ كُلَّ يومٍ خَمْسَ مِرارٍ، مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ وَلَا مَؤُونَةِ ارْتِحَالٍ؛ مُجَاوَرَةً للرَّبِّ العَظِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالمساجِدُ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ بُيوتُ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ، وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ الأَرْضِ شَيْءٌ يُشْبِهُ الجَنَّةَ إِلَّا هِيَ؛ فَهِيَ جَنَّةُ المُؤْمِنِ ورُوحُهُ ورَيْحَانُهُ ومُسْتَرَاحُهُ؛ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ بَعْدُ عَلَىٰ الأَرْضِ؛ فَلَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَتَطَهَّرَ بِطَهُورِهِ؛ وَيَدْخُلَهَا مَتَىٰ شَاءَ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ؛ فَتَقِفُ أَرْضُ الدُّنْيَا لَهُ مِنْ عَلَىٰ جَنَبَاتِهَا، ومِنْ وراءِ أَسْوَارِهَا لَا تَتَجَاوَزُهَا؛ ويَبْقَىٰ مَنْ دَخَلَهَا فِي نَعيمِ جَنَّتِهِ مَا دَامَ فِيهَا...

وَبِذَا يُسْتَفادُ العِلْمَ أَنَّهُ لا أعظَمَ، ولا أَشْرَفَ، ولا أَرْفَعَ، ولَا أَطْهَرَ، ولَا أَبْرَكَ فِي أرضِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَهِيَ خَيرُ بِقَاعِ الأَرْضِ؛ بِذَا جَاءَ الوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَفِي الحَدِيثِ: «خَيْرُ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ»[1].

وإنَّ بيوتًا هَذَا قَدْرُ عَظَمَتِهَا؛ لَجَدِيرٌ أَنْ يُعْتَنَىٰ بِهَا، وجديرٌ أَنْ تَتَرَبَّىٰ أَجْيَالُ المسلمينَ عَلَىٰ تَعْظِيمِهَا؛ حتَّىٰ يَعْظُمُوا بِعظَمَتِهَا؛ فإنَّ العظيمَ مَنْ عَظَّمَ اللهُ تعالىٰ، وعَظَّمَ شرعُهُ، وعَظُمَتْ حُرُمَاتُهُ فِي نَفْسِهِ وقَلْبِهِ؛ وإنَّهُ لا خيرَ فِي حياةٍ لا يَدِينُ فِيها العِبادُ بِتَعْظِيمِ اللهِ العَظِيمِ عَزَّ وَجَلَّ، ولا خيرَ فِي

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه: 4/ 476، رقم: (1599)، وَحَسَّنَهُ شعيب الأرنؤوط.

عبادَةٍ لا يُعظَّمُ فِيهَا المَلِكُ الجليلُ، رَبُّ الأربابِ، ومَلِكُ المُلُوكِ، ذُو المَلَكُوتِ والجَبَرُوتِ والكِبْرِياءِ والعَظَمَةِ؛ إِذْ لَا تَكْمُلُ العبادَاتُ وتَزْكُو إِلَّا إِذَا تَحقَّقَ فِيهَا أَصْلُ التَّعْظِيمِ، الذِي يَنْتَظِمُ أَمْرَيْنِ: تَعْظِيمَ المَعْبُودِ، وَتَعْظِيمَ العِبَادَةِ. وتَعْظِيمُ العِبَادَةِ يَنْتَظِمُ أَمْرَيْنِ: تَعْظِيمَ شَعْيرَتِهَا، وتَعْظِيمَ حُرْمَتِهَا؛ وَإِنَّهُ جَاءَ الأَمْرُ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ بِتَعْظِيمِهِ، وتَعْظِيمِ شَعَائِرِهِ، وتَعْظِيمِ حُرُمَاتِهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30]، فَكُلُّ عِبَادَةٍ مُفْتَقِرَةٍ إِلَىٰ هَذَا الأَصْلِ الأَصِيلِ.

وإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ رُتَبُ العِبَادِ، وَرُتَبُ الأَعْمَالِ بِتَفَاوُتِهِمْ فِي أصلِ التَّعْظِيمِ للهِ تَعَالَىٰ ولِشَعَائِرِهِ ولِحُرُماتِهِ، فَمَا ارْتَفَعَ مَنِ ارْتَفَعَ، ولا زَكَا مَنْ زَكَا إِلَّا بِهَذَا؛ فَهُوَ مِيزانُ التَّقْوَىٰ الذِي تَثْقُلُ بِهِ مَوازِينُ الرجالِ وتَرْجَحُ. وإِنَّ تَعْظِيمَ العِبَادَةِ تَبَعٌ لِتَعْظِيمِ المَعْبُودِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتَعْظِيمُ الأَمْرِ فَرْعٌ عَنْ تَعْظِيمِ الآمِرِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَمْتَلِئُ قَلْبُهُ مِنْ تعظيمِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وإجلالِهِ وهَيْبَتِهِ؛ إِلَّا عَظُمَتِ الطَّاعَاتُ والقُرُباتُ التِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ سَيِّدِهِ ومَلِيكِهِ؛ واسْتَحْيَا أَنْ يُهْدِيَ مَولاهُ عَمَلًا ناقِصًا مَعِيبًا، وهَذا معلومٌ عِنْدَ عُمَّالِ الدُّنْيا فِي

مُعَامَلَتِهِمْ مُلُوكَهُمْ وَأَسْيَادَهُمْ، فَمَا الظَنُّ بِمَنِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ عَظَمَةِ المَلِكِ الأَعْظَمِ جَلَّ فِي عُلَاهُ؟

وإِنَّهُ مِنْ أَهَمِّ مَا يحتاجُ المُسلمونَ فِي هذا الزَّمانِ إِلَىٰ التَّذْكيرِ بتعظيمِ المَسَاجِدِ؛ لاسِيَّما أَنَّ المُؤَامَرَةَ علَىٰ المَسَاجِدِ وأهلِهَا ماكرةٌ كبيرةٌ؛ فَفِيمَا تَتَفَنَّنُ الدُّوَلُ، ويَتفاخَرُ الأغنياءُ فِي بِنَاءِ المَسَاجِدِ عَلَىٰ أَرْقَىٰ فُنُونِ العَمَارَةِ الحَدِيثَةِ، وَبِأَعْلَىٰ قِيمةٍ مالِيَّةٍ، وقَدْ جاءَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ فِي أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثٍ[1]؛ تَجِدُهُمْ فِي الوَقْتِ ذاتِهِ يَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ المَسَاجِدِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ؛ مِنْ خِلالِ تَرْويجِ فِكْرٍ مَسْجِدِيٍّ مُشَوَّهٍ، وَهُوَ أَنَّ الصلاةَ فِي المَساجِدِ ليسَتْ مِنْ ضَرُوراتِ الدِّينِ، وأَنَّهَا للمرضىٰ والشيوخِ الكِبَارِ والكُسالَىٰ والبَطَّالِينَ، وأَنَّهَا مَوْطِنٌ للصَّلَاةِ فَحَسْبُ، وَلَا عَلَاقَةَ لَهَا فِي تَقْويمِ سُلُوكِ الأفرادِ، وتَصْحِيحِ مَسَارِ المُجْتَمَعاتِ، وأَنَّ كُلَّ مَنْ يَخْرُجُ

---

(1) فعَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ؛ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ»، أخرجه ابن المبارك في الزهد: 1/ 275، رقم: (797)، وابن أبي شيبة في مصنفه: 2/ 262، رقم: (8799)، وصَحَّحَهُ الألباني، وَفِي رِوَايَةٍ: «زَوَّقْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 1/ 274، رقم: (30232)، وَحَسَّنَهُ الألباني.





عَنْ خُطَّةِ الخَسْفِ هَذِهِ؛ فَإِنَّهُ مُتَّهَمٌ بالإِرْهَابِ، أو بالتَّخَلُّفِ، أَوْ بِكِلَيْهِمَا، وفِي بَعْضِ دُوَلِ المُسْلِمِينَ؛ يُتَابَعُ المُصَلُّونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يُتَابَعُ الجُنَاةُ والمُجْرِمُونَ، وَفِي بَعْضِهَا يُتْرَكُ المُجْرِمُونَ، ويُلاحَقُ المُصَلُّونَ؛ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَسَاجِدَ بِلَا سُجَّادٍ، وعَمَارَةً بِلَا عُمَّارٍ.

وَإِنَّ هَذَا الفَصْلَ المُتَعَمَّدَ بينَ المُسْلِمِينَ وبُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَدَّىٰ إِلَىٰ تَهاوُنِ كثيرٍ مِنَ المُسلمينَ اليومَ بالصلاةِ في المساجِدِ، ولقد غَدَتِ الصلاةُ لتقامُ فِي المسجِدِ الجامِعِ، ولمْ يكْتَمِلِ الصَّفُّ الأوَّلُ، وهذا حالُ أكثرِ المساجِدِ، فلا يُبالِي أكثرُ المُسْلمينَ بما فاتَهُمْ منَ الصلاةِ في بيوتِ اللهِ تعالَىٰ، وبما أدركُوا، ولا تَعْنِي لهم تكبيرةُ الإحرامِ شيئًا، فإذا فاتَتْهُمْ، أو فاتَهُمْ شَيْءٌ من الصلاةِ في المساجد، فكَأَنَّهُمْ ما فَقَدوا شيئًا، ولَئِنْ فقدَ أحدُهُمْ نَعْلَهُ أو شيئًا مِنْ نُقُودِهِ؛ يحزَنُ ويَغْتَمُّ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أُصيبَ بِمُصيبَةٍ.

وإنَّ مِمَّا يُدْمِي القُلوبَ أنْ يَتَسَلَّلَ هَذَا الدَّاءُ إِلَىٰ الدُّعاةِ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ، الذِينَ أَوْقَفُوا أنفُسَهُمْ وأوقاتَهُمْ وأعْمَارَهُمْ للهِ تَعالَىٰ، فتجدُ بعضَهُمْ يتهاوَنُونَ فِي الصلاةِ فِي المساجِدِ تهاونًا بَيِّنًا، يَخِفُّ علىٰ أحدِهِمْ ساعاتٌ مِنَ الحِوارِ والمُناقَشَاتِ، فإذا ما حضرَتِ الصلاةُ؛ يَثْقُلُ عليهِ أداؤُهَا فِي المَسْجِدِ، ويشتدُّ عليهِ وَطْؤُهَا، فَيَخْتَلِقُ المَعَاذيرَ للتَّخَلُّفِ عَنْهَا، ولو دُعِيَ

لِمَا هو أقلُّ مِنْها شأنًا، مِمَّا يَخِفُّ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ لبادَرَ مُسْرِعًا، فَإِذَا ما وَجَدَ المُسْلِمُ مِنْ نَفْسِهِ ثِقْلَةً وَشِدَّةً صَارِفَةً عَنِ الصلاةِ فِي المَسَاجِدِ، وخِفَّةً لِمَا هُوَ دُونَهَا؛ فَإِنَّ هَذَا نذيرُ شُؤْمٍ وبُؤْسٍ وخِذْلَانٍ.

وَإِنَّهُ مِمَّا أَثَّرَ فِي علاقَةِ المُسْلِمِينَ بِمَسَاجِدِهِمْ، وصَرَفَ هِمَمَهُمْ عَنْهَا كذلِكَ؛ جَائِحَةُ كُورُونا التي اجتاحَتِ الأرضَ، والإِجْرَاءَاتُ الصحيَّةُ التِي واكَبَتْهَا، وتَعَوُّدُ المسلمينَ الذينَ قَضَوْا أعمارَهُمْ فِي المَساجِدِ الصلاةَ فِي بيوتِهِمْ مُدَّتَها؛ حتَّىٰ أَلِفَتِ النُّفُوسُ الصلاةَ فِي البيوتِ، وقَنَعَتْ بِهَا، فَلَمَّا انقضَتِ الجائِحَةُ، وعادَتِ المساجِدُ إِلَىٰ سابِقِ حالِهَا؛ شَقَّ علَىٰ نُفُوسِ كثيرٍ مِنَ المسلمينَ العودَةُ السَّرِيعَةُ إِلَىٰ سَابِقِ العهدِ مَعَ المساجِدِ مِنَ التَّعَلُّقِ والالْتِزَامِ فِي سائِرِ الصَّلواتِ؛ فَإِنَّ شأنَ النُّفوسِ عَجِيبٌ؛ تُحِبُّ الرَّاحَةَ، وتَأْلَفُ الدَّعَةَ، وتُسَوِّغُ لَهَا، وتكرهُ المَشَقَّةَ، وتُحِبُّ رُخَصَهَا؛ وَإِنَّ عِلاجَ النُّفُوسِ صَعْبٌ شاقٌّ؛ ولا علاجَ أنفعَ وَلَا أجدَىٰ لَهَا مِنْ ترغيبِهَا وتَرْهِيبِهَا؛ وَإِنَّمَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ بِتَعْظِيمِ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي المَسَاجِدِ، وتعظيمِ شَأْنِ التَّخَلُّفِ عَنْهَا.

وَلَقَدْ هَدَانَا اللهُ تعالَىٰ لإعدادِ هذِهِ المادَّةِ الهادِفَةِ إِلَىٰ رَدِّ المُسلِمينَ إلىٰ بيوتِ رَبِّهِمْ تبارك تعالىٰ رَدًّا حَمِيدًا، كَمَا تَهْدِفُ إِلَىٰ إِتْحَافِ العُبَّادِ

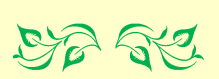


والنُّسَّاكِ مِنْ أَهْلِهَا بِبِشَارَاتِ الخَيْرِ العَظِيمِ لَهُمْ؛ وقَدْ أَسْميناهَا: (**تَعْظِيمُ قَدْرِ المساجِدِ**)؛ مُقسمينَ الكِتَابَ إِلَىٰ **ثلاثةِ فُصُولٍ**: الفصلُ الأوَّلُ: (**تعظيمُ فَضِيلَةِ الصلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ وتَعْظِيمُ أهلِهَا**)، الفصلُ الثَّانِي: (**تعظيمُ خَطَرِ التَّخَلُّفِ عَنِ الصلاةِ فِي بيوتِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ، **وخِذْلانُ أَهْلِهَا**)، الفَصْلُ الثَّالِثُ: (**عظيمُ قَدْرِ المَسَاجِدِ فِي قلوبِ الصَّالِحِينَ**)؛ مُتَأَسِّينَ بِتَسْمِيَةِ كِتَابِنَا بالإِمامِ المُحَدِّثِ الفَقِيهِ: مُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ المَرْوَزِيِّ، فِي كِتَابِهِ (تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ)[1].

والحَمْدُ للهِ الذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.

**وكتبه**

**زكريا بن طه شحادة**



---

(1) لنا اختصار علىٰ كتاب تعظيم قدر الصلاة، اسمه: (هِدَايَةُ السُّرَاةِ مُخْتَصَرُ تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلاةِ).





# الفَصْلُ الأَوَّلُ

## تَعْظِيمُ فَضِيلَةِ الصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالَى، وتَعْظِيمُ أَهْلِهَا

لَا جَرَمَ[1] أنَّ اللهَ تعالىٰ عَظَّمَ قَدْرَ المساجِدِ فِي كتابِهِ، وعلىٰ لسانِ رسولِهِ ﷺ أَيَّمَا تعظيمٍ؛ فلقد عَظُمَ قدرُ الصلاةِ فِي المساجِدِ والمحافظةُ عليها، وكَثُرَتْ فضائِلُها إِلَىٰ الحَدِّ البعيدِ، والشَّأْوِ العَظِيمِ؛ فَلَا يكادُ يَخْلُو كتابٌ جامِعٌ للفضائِلِ والآدابِ مِنَ الوقوفِ عندَها، والتذكيرِ بِها، والإلحاحِ عليها؛ تَعْظيمًا لِقَدْرِها؛ ولَمَّا كانَ ذَلِكَ؛ عُلِمَ أنَّ لَهَذِهِ الشَّعِيرَةِ العَظِيمَةِ عندَ اللهِ تعالىٰ المَوْقِعَ العَظِيمَ المُعَظَّمَ؛ وذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ قَدْرُ الأمرِ عندَ اللهِ تعالىٰ؛ كَثُرَ التَّرغيبُ فيهِ، وعظُمَتِ الأجورُ عليهِ، وإِذَا عَظُمَتْ حُرْمَةُ معصيةٍ؛ كَثُرَ التَّنْفيرُ مِنْهَا، وعَظُمَتِ العُقُوبَةُ عليها، وهذهِ فَضَائِلُ الصَّلَاةِ فِي بيوتِ اللهِ تَعَالَىٰ في ثلاثين عُنْوانًا، وَتَحْتَ كُلِّ عُنْوانٍ فَضَائِلُ مُتَعَدِّدَةٌ؛ فَإِلَيْكُمُوهَا:

---

(1) لَا جَرَمَ: بمعنىٰ حقًّا، مِنْ قولهم: لا جَرَمَ لأَفْعَلَنَّ كَذَا، أي: حقًّا، قالَ الفَرَّاءُ: لا جَرَمَ كَلِمَةٌ كانَتْ فِي الأَصْلِ بِمَنْزِلَةِ لابُدَّ وَلَامَحَالَةَ، فَجَرَتْ علَىٰ ذلِكَ، وكَثُرَتْ حتَّىٰ تحوَّلَتْ إِلَىٰ معنَىٰ القَسَمِ، وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ حَقًّا.



## أوَّلًا: الرَّجُلُ كُلُّ الرَّجُلِ مَنْ يَلْزَمُ بيوتَ اللهِ تَعَالَى

إنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ أنَّ اللهَ تعالىٰ عَظَّمَ قَدْرَهَا فِي كتابِهِ العظيمِ؛ فأمَرَ أنْ تُرْفَعَ فِي الأَرْضِ، وأَنْ يُعَظَّمَ قدرُهَا؛ وذلكَ قَولُهُ تَبَاركَ وتَعَالَىٰ: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1]؛ «فالمساجِدُ بيوتُهُ -سبحانه- وإنَّ اللهَ تعالَىٰ أَذِنَ أنْ تُرْفَعَ الحوائِجُ فيها إليهِ فيقْضِيهَا، ورَفْعُ أَقْدَارِ تِلْكَ البيوتِ علىٰ غيرِها مِنَ الأَبْنِيَةِ والآثارِ مُسْتَقِرٌّ فِي القُلوبِ. والمَساجِدُ بيوتُ العبادَةِ، والقلوبُ بيوتُ الإِرَادَةِ، فالعابِدُ يَصِلُ بِعِبادَتِهِ إِلَىٰ ثوابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والقَاصِدُ يَصِلُ بِإِرَادَتِهِ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ»[2].

ثُمَّ إنَّ ذِكْرَ المَسَاجِدِ جاءَ مَعْطُوفًا عَلَىٰ ذِكْرِ نورِ اللهِ تَعَالَىٰ، وفِي ذلكَ إِيماءٌ إِلَىٰ أنَّ مَنْ أرادَ اكتمالَ النَّورِ فِي قلبِهِ ونفسِهِ وقبرِهِ ودُنْياهُ

---

(1) النور: 35-37.

(2) انظر: لطائف الإشارات، للقشيري: 2/ 614.

وآخِرَتِهِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يأتِيَ بيوتَ اللهِ ﷻ، وَيقْتَبِسَ نُورَ ذَلِكَ مِنْ نورِ بيوتِ اللهِ تبارك وتعالىٰ؛ فَللنَّاسِ مِنَ النُّورِ هُنالِكَ بِقَدْرِ مَا لَهُمْ نَصيبٌ مِنْ عِمَارَةِ بيوتِ اللهِ تَعالَىٰ هُنَا؛ فَمَنْ تَوطَّنَ المَسَاجِدَ، واتَّخَذَها لَهُ بَيْتًا؛ لا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ صَلَواتِهَا واعْتِكَافِهَا وخَيْرَاتِها وبَرَكاتِهَا؛ فيُرْجَىٰ أَنْ يكونَ مِنْ أعظمِ النَّاسِ نورًا فِي قبرِهِ وعلَىٰ صِرَاطِهِ؛ ومَنْ كانَ حظُّهُ مِنْ نورِ بيوتِ اللهِ تعالَىٰ قليلًا؛ فَحَظُّهُ هُنالِكَ قَلِيلٌ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ مِنْ نُورِ بُيُوتِ اللهِ تَعالَىٰ هُنَا؛ فَلَا حَظَّ لَهُ مِنَ النُّورِ هُنَالِكَ.

«وإنَّ هُناكَ صِلَةٌ تَصْوِيرِيَّةٌ بينَ مشهدِ المِشْكَاةِ هُناكَ ومَشْهَدِ البيوتِ هُنَا، وهُناكَ صِلَةٌ مِثْلُها بينَ المِصْباحِ المُشْرِقِ بالنُّورِ فِي المِشْكَاةِ، والقُلُوبِ المُشْرِقَةِ بالنُّورِ فِي بيوتِ اللهِ ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ (1).

---

(1) النور: 35-37.



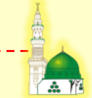


تِلْكَ البيوتُ ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾، وإِذْنُ اللهِ تعالىٰ هُوَ أَمْرٌ للنَّفاذِ؛ فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ قَائِمَةٌ، وهِيَ مُطَهَّرَةٌ رفِيعَةٌ. يَتَنَاسَقُ مشهدُهَا المرفوعُ مَعَ النُّورِ المُتَأَلِّقِ فِي السماواتِ والأرضِ، وتَتَنَاسَقُ طَبيعَتُها الرفيعةُ مَعَ طبيعةِ النُّورِ السَّنِيِّ الوَضِيءِ، وتَتَهَيَّأُ بالرِّفْعَةِ والارْتِفاعِ لِأَنْ يُذْكَرَ فيها اسمُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، وتَتَّسِقُ مَعَها القُلوبُ الوَضيئَةُ الطَّاهِرَةُ، المُسَبِّحَةُ الوَاجِفَةُ، المُصَلِّيَةُ المَوْهُوبَةُ.. قُلوبُ الرِّجالِ الذينَ ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾. والتِّجَارَةُ والبَيْعُ لِتَحْصيلِ الكَسْبِ والثَّراءِ؛ ولكِنَّهُمْ مَعَ شُغْلِهِمْ بِهِمَا لا يَغفلُونَ عَنْ أداءِ حقِّ اللهِ تعالىٰ فِي الصَّلاةِ في المَسَاجِدِ، وأَدَاءِ حَقِّ العِبادِ فِي الزَّكَاةِ»[1].

ثُمَّ إِنَّ الآياتِ قَرَنَتْ عظمةَ الرِّجَالِ بِتَعْظِيمِهِمْ قَدْرَ بيوتِ رَبِّهِم العَظِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإِنَّ الرَّجُلَ مُكْتَمِلَ الرُّجولَةِ عندَ اللهِ تعالىٰ، وعندَ رسولِهِ ﷺ، وعِنْدَ أولياءِ اللهِ ﷻ هُوَ مَنْ يحافِظُ علَىٰ الصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾، فما ذُكِرَتِ الرجولةُ في

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب: 4/ 2520.



كتاب اللهِ ﷻ إلَّا فِي مَقَامِ التَّكْرِيمِ والتَّفْخِيمِ والتَّعْظِيمِ، وهَذَا المَقَامُ لا يَنْبَغِي لكلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ حِكْرٌ عَلَىٰ أَهْلِ المَساجِدِ؛ فَلَيْسَ الرَّجُلُ - إِذَنْ- مَنْ نَبَتَتْ لِحْيَتُهُ، وَطَرَّ شارِبُهُ، واكتملَ بَدَنُهُ، وإِنَّمَا الرَّجُلُ كُلُّ الرَّجُلِ مَنْ لَبَّىٰ نِدَاءَ اللهِ تعالىٰ للصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ، وآثَرَ نِداءَ الرَّبِّ ﷻ علَىٰ رَغَائِبِ النَّفْسِ، وتَرَكَ بيتَهُ وأهلَهُ وأولادَهُ؛ لِبَيْتِ رَبِّهِ ﷻ وعِبَادَتِهِ، وفارقَ مَجَالِسَ حِبَّهُ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ حَبِيبِهِ الأعظمِ سُبْحَانَهُ وتعالىٰ؛ فَإِنَّ للعبدِ نَصيبٌ مِنَ الرُّجولَةِ بِقَدْرِ ما لَهُ مِنْ نَصيبٍ مِنَ انْتِمَاءٍ للمَساجِدِ وانْتِسَابٍ إِلَيْها.

## ثَانِيًا: شَرَفُ الاسْتِباقِ والتَّهْجِيرِ إِلَى المَسَاجِدِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ أنَّ مِنْ أَرْجىٰ أعمالِ العبدِ عندَ اللهِ تعالىٰ التَّهْجيرَ إِلَىٰ المساجِدِ، والمسارعَةَ والاستباقَ إِلَيْهَا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ(1) وَالصَّفِّ

(1) النِّدَاءُ: الْأَذَانُ.

الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا[1] عَلَيْهِ؛ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ؛ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ؛ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»[2].

هَذَا حَثٌّ عَلَىٰ التَّهْجِيرِ للمَسَاجِدِ والتَّبْكِيرِ للصلاةِ فِيهَا، والتَّهْجِيرُ: السَّيْرُ فِي الهَاجِرَةِ، وهِيَ شِدَّةُ الحَرِّ، ويَدْخُلُ فِي مَعْنَىٰ التَّهجيرِ التَّهَيُّؤُ والاسْتِعدادُ لَهَا، والمُسارَعَةُ إِلَىٰ الصلواتِ كُلِّها، والتَّبْكِيرُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ -أَيِّ صَلَاةٍ كَانَتْ- قَبْلَ دُخُولِ أَوْقَاتِها؛ لِيَحْصُلَ لَهُ فَضْلُ الانتظارِ قَبْلَ الصَّلَاةِ[3].

والمَعْنَىٰ: لَوْ يعلمُ المُسْلِمُونَ مَا فِي الأذانِ والتَّبْكِيرِ إِلَىٰ المَسَاجِدِ والمسارعةِ إِلَيْهِمَا مِنَ الفضلِ والثوابِ، ثُمَّ لَمْ يُدْرِكُوا الوُصُولَ إِلَيْهِمَا إِلَّا

---

(1) الِاسْتِهَامُ: الِاقْتِرَاعُ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا فَضِيلَةَ الْأَذَانِ وَقَدْرَهَا وَعَظِيمَ جَزَائِهِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا طَرِيقًا يُحَصِّلُونَهُ لِكَوْنِهِ لَا يُؤَذِّنُ لِلْمَسْجِدِ إِلَّا وَاحِدٌ؛ لَاقْتَرَعُوا فِي تَحْصِيلِهِ.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 126، رقم: (615)، ومسلم: 1/ 325، رقم: (437).

(3) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 2/ 280.

بالاسْتِهَامِ، أَيِ الاقْتِرَاعَ؛ لَأَجْرَوْا بينَهُمْ قُرْعَةً عَلَيهِمَا تَنَافُسًا فِيهما، ومُشَاحَّةً فِي تَحْصِيلِ فَضْلِهِمَا وأَجْرِهِمَا[1]، وفِي هَذَا مَا فِيهِ مِنْ دَليلٍ عَلَىٰ عَظِيمِ قَدْرِ التَّبْكِيرِ إِلَىٰ المساجِدِ والاستباقِ إِلَيْهَا.

وإِنَّما خَصَّ العَتَمَةَ والصُّبْحَ دونَ سائِرِ الصلواتِ لِلُزُومِهَا فِي أثقلِ الأوقاتِ: العشاءِ وقتِ الدَّعَةِ والسكونِ مِنْ كُلِّ تَعَبٍ، وقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ اللَّيْلَ سَكَنًا، وفِيهَا تَكَلُّفُ الحَرَكَةِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ معَ خَوْفِ الهَوامِّ[2] والسِّباعِ الضارَّةِ فِي الطَّرِيقِ، وأَمَّا الفَجْرُ فَوقْتُ اشتدادِ النَّوْمِ؛ لِمَحَبَّةِ النَّاسِ اسْتِدَامَةَ الرَّاحَةِ، فَكانَ خُروجًا مِنَ الدَّعَةِ إِلَىٰ مَشَقَّةِ الوُضُوءِ والمَشْيِ إِلَىٰ المَساجِدِ، ولَيْسَ كَسَائِرِ الصَّلواتِ، فَفيهِ تَمْحِيصٌ لِصِدْقِ الإِيمانِ؛ لِذَلِكَ قالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلاةِ العِشَاءِ والصُّبْحِ؛ أَسَأْنا بِهِ الظَنَّ، وقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَشْهَدُ

---

(1) انظر: فتح الباري، لابن رجب: 5/ 286.

(2) الهوامُّ: الحيَّاتُ، وكلُّ ذِي سم يقتلُ سمُّه. وَأما مَا لَا يَقْتُل ويَسُمّ فَهِيَ السَّوامُّ، مشدَّدَة الْمِيم؛ لِأَنَّهَا تَسُمّ وَلَا تبلغُ أَن تقتلَ، مثل الزنبورِ والعقربِ وأشباهِها، وَقَدْ تُطْلَقُ الْهَوَامُّ عَلَىٰ مَا لَا يَقْتُلُ كَالْحَشَرَاتِ.



الفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً»[1]، «فَأَخْبَرَ ﷺ عَنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ عَلَىٰ إِتْيَانِهِمَا؛ حَضًّا لِلنَّاسِ عَلَيْهِمَا، وَأَنَّ الْمَشْيَ إِلَيْهِمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَبْوًا علَىٰ الأَيْدِي والأَرْجُلِ والأَسْتَاهِ؛ لَاسْتَسْهَلَهُ مَنْ يَعْلَمُ مِقْدَارَ الثَّوَابِ عَلَيْهِمَا»[2].

## ۞ ثَالِثًا: رِباطُ الصَّالحينَ لُزومُ بيوتِ رَبِّ العالمينَ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ أنَّ مُلازَمَةَ بيوتِ اللهِ تعالىٰ للصَّلاةِ فيها، وانْتِظَارَ أَدائِهَا: الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلاةِ رِباطٌ لَا شَوْكَةَ[3] فيهِ، وَهُوَ غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ، ونَافِلَةٌ نَاجِزَةٌ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ

---

(1) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 2/ 244.

(2) المنتقىٰ شرح الموطأ، للباجي: 1/ 132.

(3) المقصود بالشوكة: الشدة والقتال والحرب، فهو رباط سهل، ليس فيه شدة ولا مخاوف ولا قتال.

الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: «مُنْتَظِرُ الصَّلَاةِ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ، كَفَارِسٍ اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىٰ كَشْحِهِ[2]، تُصَلِّي عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ اللهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ أَوْ يَقُومُ، وَهُوَ فِي الرِّبَاطِ الْأَكْبَرِ»[3].

لَيْسَ الرِّبَاطُ -بِمَحْضِ الحَدِيثِ- لُزُومَ الثُّغورِ وَحِرَاسَتَهَا فَحَسْبَ؛ بَلْ إِنَّ فِي لُزُومُ بيوتِ رَبِّ العالمينَ رباطٌ آخَرُ للصَّالِحِينَ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَتيَسَّرْ لَهُ الرِّبَاطُ عَلَىٰ الثُّغُورِ؛ فَفِي الرِّبَاطِ فِي المَسَاجِدِ عِوَضٌ، وَمَنْ ظَفِرَ بالرِّبَاطِ عَلَىٰ الثُّغُورِ؛ فَفِي لُزُومِ المَسَاجِدِ مَزِيدُ رِباطٍ؛ وَفَضْلًا بَعْدَ فَضْلٍ؛ فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «(فَذَلِكُمُ الرِّباطُ)، تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ المَسَاجِدِ كَبِيرٌ؛ فَالرِّباطُ هُنَا مُلازَمَةُ المَسْجِدِ لانتظارِ الصَّلاةِ، وذَلِكَ معروفٌ فِي اللُّغَةِ. قالَ الخليلُ

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 13/ 393، رقم: (8021)، ومسلم: 1/ 219، رقم: (251).

(2) اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَيْ: أَسْرَعَ بِهِ فَرَسُهُ لِمُواجَهَةِ عَدُوِّهِ؛ والكَشْحُ: الجَنْبُ والخَاصِرَةُ ودَاخِلَتُهُ إِلَىٰ البَطْنِ والكَبِدِ، والكَاشِحُ: العَدُوُّ الحَقُودُ، الذِي يُضْمِرُ العَدَاوَةَ فِي كَشْحِهِ، أَيْ: بَطْنِهِ وكَبِدِهِ.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 14/ 273، رقم: (8625)، وحَسَّنَهُ شعيب الأرنؤوط.

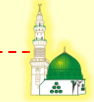
بن أَحْمَدَ: الرِّباطُ مُلازَمَةُ الثُّغُورِ، قالَ: والرِّباطُ مُواظَبَةُ الصَّلاةِ أيضًا»[1]؛ فيكونُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ): «أَنَّهُ مِنَ الرِّبَاطِ الْمُرَغَّبِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَبَطَ نَفْسَهُ عَلَىٰ هَذَا الْعَمَلِ، وَحَبَسَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ ﷺ: (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) التَّفْضِيلَ لِهَذَا الرِّبَاطِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الرِّبَاطِ فِي الثُّغُورِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)؛ يُرِيدُ: أَنَّهُ أَفْضَلُ أَنْوَاعِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ الرِّبَاطُ الْمُمْكِنُ الْمُتَيَسِّرُ. وَقَدْ قَالَ: الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ: إِنَّ (ذَلِكَ) مِنْ أَلْفَاظِ الْحَصْرِ، وَإِنَّمَا تَكَرَّرَ قَوْلُهُ: (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) عَلَىٰ مَعْنَىٰ التَّعْظِيمِ لِشَأْنِهِ»[2]، فَلَا يَجِدُ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَاقِلٍ يَسْمَعُ بِهَذِهِ الفَضَائِلَ الشَّرِيفَةَ إِلَّا أَنْ يَحْرِصَ عَلَىٰ الأَخْذِ بأوفَرِ الحَظِّ مِنْهَا، ولا تَمُرُّ عَنْهُ صَفْحًا؛ فَإِنَّ تَرْكَ الفَضَائِلِ، والأَخْذَ بالدَنَايَا شِيمَةُ الحَمْقَىٰ.

ثُمَّ إِنَّ مُنْتَظِرَ الصَّلَاةِ فِي المَسْجِدِ -بِحَسَبِ الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ- كَمَنِ اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ وأَسْرَعَ لِمُواجَهَةِ عَدُوِّهِ الحَقُودِ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعالَىٰ؛ وَقَدْ وَصَفَ هَذَا الرِّبَاطَ بالرِّبَاطِ الأَكْبَرِ.

---

(1) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: 20/ 223.

(2) المنتقىٰ شرح الموطأ، للباجي: 1/ 285.





ثُمَّ لَوْ تَدَبَّرَ المسلمونَ هذا الحِديثَ بِقُلوبٍ واعِيَةٍ، ونَظَرُوا إِلَىٰ مَا وراءَ ألفاظِهِ مِنْ معانٍ؛ لَكَانَ لَهُمْ مَعَ بيوتِ اللهِ تعالَىٰ شَأْنٌ غيرُ الذي يُرَىٰ؛ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ يُحْسنُ وضوءَهُ، ويُكْثِرُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ، ويَنْتَظِرُ صَلاتَهُ انتظارَ المُحَبِّ المُشْتاقِ، ويُبَكِّرُ إلىٰ بيوتِ اللهِ تَعالَىٰ؛ فهذَا لا يزالُ وضوؤُهُ وخطواتُهُ وانتظارُهُ الصلاةَ بِهِ؛ حَتَّىٰ تُمْحَىٰ خطاياهُ؛ فَيَلْقَىٰ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وليسَ عليهِ خَطيئةٌ، والمَحْوُ فوقَ المغفرةِ والسِّترِ، إذِ المَحْوُ إزالةٌ ومَسْحٌ ومَحْوٌ مِنْ كُتُبِ الحَفَظَةِ ودَواوينِهِمْ، فلا يَبْقَىٰ لها أَثَرٌ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ.

ولا يَزالُ وضُوؤُهُ وخُطواتُهُ وانتظارُهُ الصَّلاةَ بعدَ الصلاةِ تَرفعُ درجاتِهِ، دَرَجَةً فَوْقَ دَرَجَةٍ؛ حَتَّىٰ يَرْقَىٰ أرفعَ الدَّرجاتِ، وأَعَالِي الجِنانِ، ولَعَلَّه أَنْ يَتَبَوَّأَ صَدْرَ مَنْزلِ القُرْبِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ إذَا خَلصَتْ نِيَّتُهُ، وقَارَنَهَا تعظيمُ اللهِ تَعالَىٰ، ومَحَبَّتُهُ، والإنابةُ والإِخْبَاتُ إليهِ، والخُشُوعُ بينَ يَدَيْهِ، والافْتِقَارُ لَهُ، وَكَانَتِ الصَّلاةُ والمَسَاجِدُ مِهْنَتَهُ التِي يُفْنِي بِهَا حياتَهُ.

## رَابِعًا: صَلاةُ اللهِ تعالى وملائِكَتِهِ على أهْلِ الصَّفِّ الأَوَّلِ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اختصَّ مِنْ عُمومِ المُسْلِمينَ أَهْلَ المَسَاجِدِ بِعَظِيمِ فَضْلِهِ، واخْتَصَّ مِنْ أَهْلِ المَسَاجِدِ أَهْلَ الصَّفِّ الأَوَّلِ، فَجعَلَ لَهُمْ مِنَ المَكَارِمِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ؛ فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، أَوِ الصُّفُوفِ الْأُولَىٰ»[1].

أَيُّ مَكْرُمَةٍ أَعْظَمُ لِعَبْدٍ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ اللهُ تَعَالَىٰ ومَلَائِكَتُهُ عَلَيْهِ؟! ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا صَلاةُ اللهِ تعالىٰ ومَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِ؟! صَلَاةُ اللهُ ﷻ إِظْهَارُهُ رَحْمَتَهُ، ومَدْحَهُ وثَنَاءَهُ؛ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ اسْتِغْفَارُهُمْ وَسُؤَالُهُمُ الْفَضْلَ والدَّرَجَةَ لِمَنْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، أَمَّا صَلَاةُ الْمُؤمِنِينَ دعاؤُهُمْ رَبَّهُمْ بإنزالِ البَرَكَاتِ وَالرَّحْمَةِ عَلَىٰ مَنْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ[2].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 30/ 315، رقم: (18364)، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.

(2) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي: 1/ 344.

وَفِي قَولِهِ ﷺ: «(إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصَّفِّ الْأَوَّلِ)، بِشارَةٌ لَطِيفةٌ لِأَهْلِ الصَّفِّ الأَوَّلِ، وَهِيَ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعالَىٰ -بِلَا رَيْبَ- مُتَحَقِّقَةٌ لَهُ، ثُمَّ إِنَّ الملائِكَةَ الكِرَامَ الذينَ هُمْ عِبادُهُ المُقَرَّبُونَ المُصْطَفَوْنَ المُصَفَّوْنَ مِنْ أَدْناسِ البَشَرِ، الذِينَ لا يَعْصونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون. «يُصَلُّونَ علَىٰ الصَّفِّ الأَوَّلِ»، أَيْ: علَىٰ أَهْلِهِ، وَهُوَ الذِي يَلِي الإِمامَ، أيْ: يَسْتَغْفِرُونَ لِأَهْلِهِ، قَالَ تَعالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]»[2]، فَمَنْ أَصابَتْهُ دَعْوَةُ مَنْ هَذا وَصْفُهُمْ مِنْ عبادِ اللهِ ﷻ؛ فَلا يَضِلُّ -إذنْ-، ولَا يَشْقَىٰ.

ولمَّا سَمِعَ الصَّحابَةُ رِضْوانُ اللهِ تَعالَىٰ علَيْهِمْ مَا لِأَهْلِ الصَّفِّ الأَوَّلِ مِنَ الفَضْلِ والكَرَامَةِ، بِصَلَاةِ اللهِ تعالىٰ ومَلَائِكَتِهِ الكِرَامِ علَيْهِم؛ ازْدَحَمُوا عَلَىٰ الصَّفِّ الأَوَّلَ؛ فعَنْ مُجاهِدٍ، قَالَ: رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ رِقَّةً، أي: قِلَّةً من المُصلينَ؛ فَقالَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصُّفُوفِ الْأُوَلِ؛ فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ»[3]، وبهذا يَتَبَيَّنُ شَرَفُ الصحابَةِ

---

(1) غافر: 7.

(2) انظر: فيض القدير، للمُناوِي: 2/ 296.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 1/ 333، رقم: (3818).



ﷺ، فَمَا إِنْ يَسْمعوا كَلَامَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يَكُونُوا أَسْرَعَ كُلِّ أَحَدٍ إِلَىٰ ابْتِدَارِ أَمْرِهِ، وتَنْفِيذِهِ والقِيَامِ بِهِ عَلَىٰ أَكْمَلِ الوُجُوهِ؛ حَتَّىٰ لَوْ كَلَّفَهُمُ الأَمْرُ أموالَهُمْ، وأَنْفُسَهُمْ.

## خَامِسًا: الصَّفُّ الأَوَّلُ مِنَ المَسْجِدِ مثيلُ صَفِّ الملائكةِ

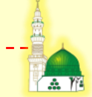
وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ أَنَّ أَهْلَ الصَّفِ الأَوَّلِ مِنْهُ -وَهُمْ عَلَىٰ الأَرْضِ- يُمَاثِلُونَ شَرَفَ المَلَائِكَةِ البَرَرَةِ فِي السَّمَاءِ؛ فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ: «إِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَىٰ مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ؛ لَابْتَدَرْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ»[1].

مَفْهُومُ الحَدِيثِ دَلِيلٌ علَىٰ أَنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ فِي الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْبُعْدِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، عَلَىٰ مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ؛ وَلِهَذَا رَغَّبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ؛ فقال: «(لَابْتَدَرْتُمُوهُ)، أَيْ: سَبَقْتُمْ إِلَيْهِ»[2]؛ و«كَلِمَةُ (عَلَىٰ) في قَوْلِهِ: (وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَىٰ مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ)، هَاهُنا

---

(1) أخرجه أبو داود: 1/ 151، رقم: (554)، وحَسَّنَهُ الألباني.

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 3/ 838.




للاسْتِعْلاءِ المَعْنَوِيِّ، والمَعْنَىٰ: الصَّفُّ الأَوَّلُ مِنَ الجَمَاعَةِ أَعْلَىٰ وَأَفْضَلُ مِنْ صَفِّ المَلائِكَةِ»[1].

فَنِعْمَ العَمَلُ عَمَلٌ يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ شَرَفَ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ وفَضِيلَتَهُمْ، وَهُوَ بَعْدُ عَلَىٰ الأَرْضِ، وَنِعْمَ الفَضْلُ ذَلِكَ الفَضْلُ الذِي يَتَشَرَّفُ بِهِ المُسْلِمُ الاقْتِرَانُ بِالمَلَائِكَةِ، وَلَوْ تَشْبِيهًا.

وَفِي الحديثِ حَثٌّ عَلَىٰ الْتِماسِ المَسْجِدِ الأَكْثرِ جماعَةً؛ وذَلِكَ مفهومُ قولِهِ ﷺ: «وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ؛ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ تَعالَىٰ»، فإنَّ مَنْ يَرْجُو عَظِيمَ كَرَمِ اللهِ تَعالَىٰ، يَلْتَمِسُ مَا هُوَ أَزْكَىٰ؛ أَيْ: أَكْثَرُ ثَوَابًا، وإنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ تَعَالَىٰ؛ لا يُرْضِيهِ إِلَّا فِعْلُ مَا هُوَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

## سَادِسًا: عُمَّارُ المَسَاجِدِ المَلائِكَةُ جُلَساؤُهُمْ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ جَعَلَ لِعُمَّارِ المَسَاجِدِ شَأْنًا وَعِنَايَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ

---

(1) انظر: شرح سنن أبي داود، لبدر الدين العيني: 3/ 30.



غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ»(1).

هَذَا وَصْفٌ لأَهْلِ المَسَاجِدِ عَظِيمٌ؛ هُمْ أَوْتَادٌ لَهَا، وَلَا يَخْفَىٰ مَا فِي وَصْفِ الوَتَدِ مِنْ مَعَانٍ: فالوَتَدُ ثَابِتٌ فِي الأَرْضِ لَا يَتَزَحْزَحُ، وأَهْلُ المَسَاجِدِ أَرْجَىٰ النَّاسِ بالثَّبَاتِ عَلَىٰ الدِّينِ؛ باعْتِصَامِهِمْ بِمَسَاجِدِهِمْ؛ والأَوْتَادُ تَشُدُّ أَعْمِدَةَ الخِيَام، وَتُثَبِّتُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؛ إِذَا مَا هَاجَتِ الرِّيَاحُ، وعَصَفَتْ؛ وَأَهْلُ المَسَاجِدِ يُثَبِّتُونَ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا هَاجَتْ رِياحُ الفِتَنِ، وعَصَفَتْ، والأَوْتَادُ غَائِبَةٌ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ غَائِرَةٌ فِي الأَرْضِ؛ لَا يَعْرِفُونَ لَهَا قَدْرًا إِلَّا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهَا عِنْدَ هَيَجَانِ الرِّيَاحِ العَاتِيَةِ، وأَهْلُ المَسَاجِدِ غَائِبُونَ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ فِي بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا يَعْرِفُ النَّاسُ قَدْرَهُمْ إِلَّا إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِمْ فِي إِصْلَاحِ الأُمَّةِ عِنْدَ هَيَجَانِ الفِتَنِ العَاتِيَةِ.

أَمَّا كراماتُ هَؤُلاءِ العُمَّارِ الأَوْتَادِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لَهُمْ مِنَ العِنَايَةِ مَا يُغْبَطُونَ عَلَيْهَا؛ مِنْهَا: أَنَّ المَلائِكَةَ الكِرَامَ جُلَساؤُهُمْ؛ وَكَفَىٰ بِهِ شَرَفًا؛ فَإِنَّ شَرَفَ المَرْءِ بِجُلَسائِهِ؛ وأَهْلُ الدُّنْيا يَتَفَاخَرُونَ ويَتِيهُونَ بِمُجَالَسَةِ عُظَمَاءِ زَمانِهِمْ، فَكَيْفَ بمُجالَسةِ الأَشْرافِ مِنَ الملائكةِ؟!

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 15/ 248، رقم: (9424)، وصَحَّحَهُ الألباني.





ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَعْتَنِي بِهِمْ، فَيَتَوَلَّاهُمْ وِلَايَةً خَاصَّةً، فَهُو كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نفسِهِ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1]؛ وَإِنَّهُ مِنْ كمالِ وِلايَتِهِ لَهُمْ، وَعِنَايَتِهِ بِهِمْ أَنَّهُ جعلَ الملائِكَةَ الذينَ يُجَالِسُونَهُ يَعْتَنُونَ بِهِ أَعْظَمَ العِنايَةِ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ غَابُوا عَنْ بيوتِ اللهِ تَعَالىٰ لِمَرَضٍ أَوْ حاجَةٍ؛ يَفْتَقِدُوهُمْ، وَيَبْحَثُوا عَنْ أَخْبَارِهِمْ؛ فَإِنْ كانَ غِيابُهُمْ لِمَرَضٍ عَادُوهُمْ مَعَ العُوَّادِ، ولَعِيَادَتُهُمْ أَبْرَكُ مِنْ عِيادَةِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ وأَشْرِفُ؛ وَلَرُبَّمَا دَعَوْا لَهُ بالشِّفَاءِ والعَافِيَةِ، كَمَا يَدْعُو النَّاسُ، وَلَدَعْوَتُهُمْ أَنْفَعُ لَهُ مِنْ دَعْوَةِ أَحَبِّ النَّاسِ لَهُ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ غِيابُهُمْ لِحَاجَةٍ مِنْ مُهِمَّاتِ الأُمُورِ؛ أَعَانُوهُمْ عَلَىٰ قَضَاءِ مَا أَهَمَّهُمْ مِنَ الحَاجاتِ؛ ومَا الظَّنُّ بِحَاجَةٍ يُعِينُ عَلَىٰ قَضَائِهَا الملائِكَةُ بِوِلايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وعِنَايَتِهِ وتَوْفِيقِهِ.

فَيَا لَشَرفِ الصَّلاةِ فِي المَسَاجِدِ، وَيَا لَشَرفِ أهلِهَا! مَيْمونَةٌ هِيَ الصَّلاةُ فِي المساجِدِ، مَيْمونٌ أَهْلُها؛ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ، واللهُ تعالَىٰ فِي قَضاءِ حَاجَاتِهِمْ!

---

(1) الأعراف: 196.



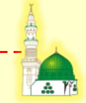
## سَابِعًا: المَلَكَ بِرَايَتِهِ يَغْدُو مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو إِلَى المَسْجِدِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَنْ خَصَّص مَلَكًا مَعَهُ رَايَةٌ يُرَافِقُ أَوَّلَ الوَافِدِينَ إِلَىٰ المَسْجِدِ؛ فَعَنْ مَيْثَمٍ ﷺ -رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْمَلَكَ يَغْدُو بِرَايَتِهِ مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَلَا يَزَالُ بِهَا مَعَهُ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ يَدْخُلُ بِهَا مَنْزِلَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَغْدُو مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو بِرَايَتِهِ إِلَىٰ السُّوقِ؛ فَلَا يَزَالُ بِهَا، حَتَّىٰ يَرْجِعَ فَيُدْخِلَهَا مَنْزِلَهُ»[1].

وَهَذا شَرَفٌ رَفِيعٌ لِأَوَّلِ السَّابقينَ إِلَىٰ المساجِدِ؛ فإنَّ أَوَّلَ الوافِدِينَ إِلَىٰ بيوتِ اللهِ تعالىٰ؛ يحْمِلُ لَهُ مَلَكٌ مِنَ الملائكَةِ رايةً عظيمةً يَرَاهَا إخوانُهُ مِنَ المَلائِكَةِ؛ لَعَلَّهُ يُعْرَفُ بِهَا بينَ مَلَائِكَةِ الأَرْضِ، وَلَعَلَّ أعلامَهَا تَظْهَرُ لِمَلائِكَةِ السَّمَاءِ؛ ولا يزالُ المَلَكُ بِرايَتِهِ يُرَافِقُهُ ويُلازِمُهُ؛ حتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهِ؛ وَكَأَنَّهُ إِعْلانٌ عَنْ فوزِ

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: 5/ 183، رقم: (2715)، وصَحَّحَهُ الألباني.





هَذَا العَبْدِ الغَادِي فِي هَذِه الجولَةِ مِنَ السِّبَاقِ؛ فَهَلْ بعدَ هَذِهِ الكَرَامَةِ مِنْ كَرَامَةٍ تُرْجَىٰ؟

أَلَا فَلْيَحْرِصِ المُسلِمُ أنْ يُصيبَ هذا الشَّرَفَ، وَلَوْ مَرَّةً فِي اليومِ، أو مرَّةً فِي الأسبوعِ، أو مرَّةً فِي الشَّهْرِ؛ لَيْسَ أَقَلَّ؛ فَإِنَّ هَذَا الحديث فَتَحَ مِضْمَارَ السِّبَاقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ جَوْلاتٍ؛ فحَيَّهَلًا[1] عَلَىٰ المَيْدَانِ؛ شُدُّوا المَآزِرَ، وشَمِّرُوا الأَكْمَامَ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَسْبِقَنَّكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَحَدٌ؛ فَافْعَلْ؛ فَإِنَّهَا الرَّايَةُ المَلَكِيَّةُ!

## ۞ ثَامِنًا: بَرَكَةُ الاجْتِمَاعِ فِي المَسْجِدِ لتلاوةِ القرآنِ ومُدَارسَتِه

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ جَعَلَ اجْتماعَ المُسلمينَ فِي بيتِهِ لِتلاوَةِ كتابِهِ ومُدارَسَتِهِ مَعَ إخوانِهِ المُصَلِّينَ سَببًا فِي عَظيمِ الكَرَامَاتِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،

---

(1) حَيَّهَلًا، أي: حثًّا، ومبادرةً، واستعجالًا لهذه الفضيلة.



وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

النَّاظِرُ الحَدِيثَ؛ يَرَىٰ وَعْدًا نَبَوِيًّا صَادِقًا لِمَنْ يَجْتَمعُونَ فِي بيوتِ اللهِ تَعَالَىٰ لِتَلَاوَةِ القُرْآنِ ومُدارسَتِهِ، وَلِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَرْبَعِ كراماتٍ، كُلُّ واحدَةٍ منها خيرٌ مِنَ الدُّنيا ومَا فيها:

الأُولَىٰ: أنَّ السَّكِينَةَ الرَّبَّانِيَّةِ، والتِي هِيَ الطُّمَأْنِينَةُ والوَقَارُ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ؛ ما دَامُوا فِي مَجْلِسِهِمْ، فَلَا أكملَ، ولَا أوقَرَ مِنْ مَجْلِسٍ يُتْلَىٰ فيهِ كِتابُ اللهِ تعالَىٰ.

الثانيةُ: تَتَغَشَّاهُمُ الرَّحْمَةُ؛ أَيْ: تُغَطِّيهِمْ، وَتَغْمُرُهُمْ، وتَعُمُّهُمْ، وتَسْتُرُهُمْ، وتَشْمَلُهُمْ رَحْمَةُ اللهِ تعالَىٰ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ؛ ومَا الظَنُّ بِمَنْ تَغْمَرُهُمْ رَحْمَةُ اللهِ تَعالَىٰ، وَتَعُمُّهُمْ؟!

الثالِثَةُ: تَحُفُّهُمْ الملائِكَةُ؛ أَيْ: إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ، يُحْدِقُونَ وَيُحِيطُونَ بِهِمْ، ويُطِيفونَ بِهِمْ وَيدُورُونَ حَوْلَهُمْ إِلَىٰ سَمَاءِ

---

(1) أخرجه أبو داود: 2/ 71، رقم: (1455)، وصَحَّحَهُ الألباني.

الدُّنْيَا، يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ وَدِرَاسَتَهُمْ، وَيَحْفَظُونَهُمْ مِنَ الْآفَاتِ، وَيَزُورُونَهُمْ، وَيُصَافِحُونَهُمْ، وَيُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ دُعَائِهِمْ[1].

الرابعة: يَذْكُرُهُمُ اللهُ تعالىٰ فِيمَنْ عِنْدَهُ: «أَيْ: يَذْكُرُهُمْ فِي مَلائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَهُ، وذِكْرُهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُبَاهَاةِ بِهِمْ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَىٰ عَبِيدِي يَذْكُرُونِي، وَيَقْرَءُونَ كِتَابِي»[2].

وهذِهِ الأخيرَةُ أجلُّهَا وأَبْرَكُهَا وأَكْرَمُهَا؛ أَنْ يَذْكُرَ الرَّبُّ العَظِيمُ ﷻ العَبْدَ الضَّعِيفَ فِي مَلَأٍ مِنَ المَلائكَةِ عظيمٍ، ولَهُوَ عِنْدَئِذٍ فِي السَّمَاءِ أَشْهَرُ مِنْهُ فِي الأَرْضِ وَأَكْرَمُ.

فَإِذَا مَا عَظَّمَ أهلُ الأَرْضِ أُمَراءَهُمْ وأَغْنِياءَهُمْ ورَفَعُوا ذِكْرَهُمْ، فَإِنَّ أَهْلَ المَسَاجِدِ يَرْفَعُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُمْ، وَيُعَظِّمُهُمْ فِي مَلَأِ السَّمَاءِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ تَعْظيمٍ زَائِفٍ بِمَعايِيرِ أَهْلِ الأَرْضِ، وبينَ تَعْظيمٍ صَادِقٍ بِمَعَايِيرِ السَّمَاءِ؛ فَيَا بُشْرَىٰ، ثُمَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ أَهْلَ المَسَاجِدِ وعُمَّارَهَا!

---

(1) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 1/ 287.

(2) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 1/ 288.





## تَاسِعًا: تَبْشِيرُ أهلِ المَساجِدِ بِمُبَاهَاةِ اللّهِ تعالَى لَهُمْ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَ المُلازِمينَ المَسَاجِدَ بِمُباهَاةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا، قالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ[1]، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ؛ فَجَاءَ ﷺ، وَقَدْ كَادَ يَحْسِرُ ثِيَابَهُ[2] عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ؛ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَىٰ»[3]. وَفِي رِوَايَةٍ: «فَجَاءَ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ[4]، رَافِعًا إِصْبَعَهُ هَكَذَا، وَعَقَدَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ[1]، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ»[2].

---

(1) فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ: التعقيب في المساجد انتظار الصلاة بعد الصلاة، ويطلق كذلك علىٰ الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة.

(2) يَحْسِرُ ثِيَابَهُ، أي: يكشف، من الاستعجال في الجري؛ لأجل تبشير الماكثين في المسجد.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 11/ 362، رقم:(6750)، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.

(4) حَفَزَهُ النَّفَسُ: جهده النفس من شدة السعي والجري إلىٰ المسجد؛ لتبشير الجالسين فيها، انظر: معالم السنن، للخطابي: 1/ 197.

إنَّ المُتَأَمِّلَ الحديثَ حَقَّ التَّأَمُّلِ؛ يَعْلَمُ مَوْقِعَ الجُلُوسِ فِي المَسْجِدِ ومُلَازَمَتُه عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ رسولَ اللهِ ﷺ يُمْسِكُ ثَوْبَهُ بِيَدَيْهِ، وَيَجْرِي بِأَسْرَعِ مَا يَكُونُ، حَتَّىٰ حَفَزَهُ النَّفَسُ، وأَتْعَبَهُ مِنْ شِدَّةِ العَدْوِ والجَرْيِ، مُتَوَجِّهًا نَحْوَ المَسْجِدِ؛ لِيُبَشِّرَ جَماعَةً فِيهِ، قَدْ عَقَّبُوا، وَبَقُوا فِي المَسْجِدِ؛ للتَّعَبُّدِ والتَّنَسُّكِ بَعْدَ صَلاةِ المَغْرِبِ، ثُمَّ يُلْقِي إِلَيْهِمُ البِشَارَةَ العظيمَةَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَتَحَ بابًا مِنْ أبوابِ السَّماءِ مُخَصَّصًا؛ يُبَاهِي، ويُفَاخِرُ بِهِمْ مَلائِكَتَهُ فِي السَّمَاءِ: لَئِنْ لَزِمْتُمْ طاعَتِي فِي السَّمَاءِ؛ فَإِنَّ عِبادًا لِي لَزِمُوا بُيُوتِي فِي الأَرْضِ، أَمَّا أَنْتُمْ فَأَطَعْتُمُونِي مَقْهُورِينَ، وأَمَّا هُمْ فَقَدْ أَطَاعُونِي مُخْتَارِينَ...؛ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرَفِ مِنْ شَرَفٍ مَرُومٍ؟! وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الفَضْلِ مِنْ فَضْلٍ مَأْمُولٍ؟!

ولمَّا كانَ للجلوسِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ كُلُّ هَذِهِ البَرَكَةِ؛ كانَ الصحابَةُ والصالِحُونَ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَا؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ:

---

(1) هي طريقة خاصة للحساب والعدِّ علىٰ الأصابع عند العرب.

(2) أخرجه أحمد في مسنده: 11/ 364، رقم: (6751).

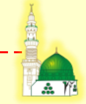




مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ»[1].

ولمَّا كانَ للجُلُوسِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ بينَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ كُلُّ هَذَا الفَضْلِ؛ كانَ جَمْعٌ مِنَ السلفِ يُحْيُونَ ما بينَ المغربِ والعشاءِ بالصلاةِ، وكانُوا يَعُدُّونَ ما بَيْنَ صلاةِ المَغْرِبِ إِلَىٰ العِشاءِ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ؛ فَيُحْيُونَهُ بِالصَّلَاةِ؛ فعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ

(1) أخرجه مسلم: 4/ 2075، رقم: (2701).



عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1]، قَالَ: كَانُوا يُصَلُّونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَكَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: قِيَامُ اللَّيْلِ[2].

فعنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قالَ: مَا أتيتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ ﷺ فِي تلكَ الساعةِ إلَّا وَجَدْتُهُ يُصلِّي، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذلكَ، فقالَ: «نعمْ، سَاعَةُ الغَفْلَةِ، يَعْنِي: مَا بَيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ»[3]. قَالَ العراقيُّ: «وَمِمَّنْ كَانَ يُصَلِّي مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وسلمانُ الفَارِسِيُّ، وابْنُ عُمَرَ، وَأَنَسٌ، ومِنَ التابعينَ: الأَسْوَدُ بنُ يزيدَ، وأَبُو عثمانَ النَّهْدِيُّ، وابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، وسَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ، وشُرَيْحُ القَاضِي، وغَيْرُهُم، ومِنَ الأَئِمَّةِ: سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ، رَضِيَ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»[4].

فإِذَا أَمْكَنَكَ أنْ تَنْوِيَ الاعْتكافَ من المغرب إلىٰ العِشَاءِ، وَتُحْيِيَ ما بينَ العشاءَيْنِ -المغربِ والعشاءِ- بالصَّلَاةِ والتلاوة والذكر فَافْعَلْ؛ فإنها

---

(1) السجدة: 16.

(2) أخرج أبو داود: 2/ 35، رقم: (1321)، وصَحَّحَهُ الألباني.

(3) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 1/ 353.

(4) نيل الأوطار، للشوكاني: 3/ 68.



ناشئةُ الليلِ؛ لأَنَّهُ أولُ نَشْأَةٍ، وتُحْتَسَبُ مِنْ قيامِ اللَّيْلِ؛ ثُمَّ هِيَ سَبَبٌ فِي مُبَاهَاةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ.

## عَاشِرًا: زُوَّارُ المساجِدِ مَخْصُوصُونَ بِكَرَمِ اللهِ تَعالَى

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنه عَدَّ زُوَّارَ بُيُوتِهِ للعِبَادَةِ زُوَّارًا لَهُ؛ فعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ؛ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ المَسْجِدَ، فَهُوَ زائِرُ اللهِ، وحَقٌّ علَىٰ المَزُورِ أَنْ يُكرِمَ الزَّائِرَ»[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِي؛ فَإِيَّايَ زَارَ، وَحَقٌّ عَلَىٰ الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ»[2]، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ الْمَسَاجِدَ بُيُوتُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّهُ لَحَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُكْرِمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا»[3].

لَقَدْ عَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذَا الحَدِيثِ زُوَّارَ المَساجِدِ زُوَّارَهُ، فالمَسَاجِدُ بُيوتُهُ تَبَارَكَ وتعالَىٰ، ونُزَّالُها زُوَّارُهُ فِي بيوتِهِ، وإنَّ لِمَنْ زارَ بيوتَهُ مِنَ الكرامَةِ مَا للزَّائِرِ عَلَىٰ المَزُورِ؛ وإنَّ مِنْ عادَةِ الكِرَامِ أنْ

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير: 6/ 253، رقم: (6139)، وحَسَّنَهُ الألباني.

(2) أخرجه ابن بشران في أماليه: 1/ 322، رقم: (741).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: 4/ 378، رقم: (2682).

تُكْرِمَ نُزَّالَها، وكُلَّما كانَ المَزورُ أكرمَ وأجودَ؛ كانَ حَظُّ الزَّائِرِ مِنَ الإكرامِ والحَفَاوَةِ أكبرَ؛ فمنْ نَزَلَ عندَ عظيمٍ من عظماءِ الأرضِ؛ عَظُمَتْ كَرَامَةُ ذلِكَ العظيمِ لَهُ؛ فَكَيْفَ إِذَا كانَ المَزُورُ رَبَّ الأَرْبابِ، وأَكْرَمَ الأكْرَمِينَ، وأجودَ الأَجْوَدِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! وكيفَ النُّزولُ فِي ضِيافَةِ مَلِكِ المُلُوكِ تَبارَكَ وتعالَىٰ وكَرَامَتُهُ تَكُونُ؟! فَلَا تَسَلْ -إِذَنْ- عَنْ عَظَمَةِ الكَرامَةِ التِي أعدَّها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِزُوَّارِهِ فِي بُيوتِهِ؛ وإنَّ الكَرَمَ هَاهُنَا كَرَمَانِ: كَرَمٌ فِي الدُّنْيَا بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ وَهِدَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ، وَكَرَمٌ فِي الآخِرَةِ بِالجَنَّةِ وَدَرَجَاتِهَا وَمَنَازِلِهَا وطَعَامِهَا وشَرَابِهَا ونِكَاحِهَا وغِنَائِهَا ونُزْهَتِهَا...

## ۞ حَادِي عَشَرَ: تَوَطُّنُ المساجِدِ سَبَبٌ لِفَرَحِ اللّهِ تعالَى

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنْ تَوَطَّنَ المَساجِدَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَضْحَكُ لَهُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ؛ إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ»[1].

---

(1) أخرجه ابن ماجه: 1/ 262، رقم: (800)، وصَحَّحَهُ الألباني.



وَلَكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ التَّعْبيرَ النَّبَوِيَّ (تَوَطَّنَ)، تَرَىٰ مِنْ ورائِها العبد ملازمًا للمسجد؛ لا يبرحه إلا لضرورةٍ، ثم يُعاوِدُ الرُّجوعَ إِلَيْهِ؛ أَسْرَعَ كُلِّ شَيْءٍ؛ حتَّىٰ لَكَأَنَّهُ وطنه الذي فيه محياه، وفيه إقامته، وفيه مماته، والتَّبَشْبُشُ: الفَرَحُ والمَسَرَّةُ بِهِ والإِقْبالُ عَلَيْهِ، واللُّطْفُ فِي المَسْأَلَةِ، وَتَلَقِّيهِ بِبِرِّهِ، وتَقْريبُهُ، وإِكْرامُهُ، وإِنْعامُهُ، ثم انظر إلىٰ تَبَشْبُشِ الله تعالَىٰ، الذي هو فَرَحُهُ بِعَبْدِه، وإقبالُهُ عليهِ؛ فإنَّه لا يكونُ إلا عن رضوانه عن عبده؛ وفِي فرح الله تعالىٰ من عبده في موطن بشارة علىٰ إثر بشارة؛ ففي الحديث: «وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَىٰ عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ؛ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»[1]، ولَعَمْرُ اللهِ تعالىٰ، لَوْ لمْ يَكُنْ فِي فَضْلِ لزومِ المَساجِدِ إِلَّا هذهِ لَكَفَتْ تَذْكِرَةً؛ ولَحَمَلتْ أَهْلَها علَىٰ تَوَطُّنِ المساجدِ، ولزومِها وعمارَتِها، وتَعَلُّقِ قُلوبِهِمْ بها؛ بِنِيَّةِ نيلِ فرحِ الرَّبِّ سبحانه وتعالىٰ به...!

وَلَوِ اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِ المُفَرِّطِ مَعْنَىٰ أَنَّ المَسَاجِدَ بيوتُ اللهِ تَعالَىٰ، وأَنَّ الملائِكَةَ فِي اسْتِقْبَالِهِ، تَحُفُّهُ، وتُرَحِّبُ بِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعالَىٰ يَفْرَحُ ويَتَبَشْبَشُ بِتَوَطُّنِهِ المَسَاجِدَ؛ لَكَانَ لَهُ مَعَ المَسَاجِدِ شَأْنٌ آخَرُ!

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 37/ 144، رقم: (22476)، وصَحَّحَهُ الألباني.

## ثَانِي عَشَرَ: مُنْتَظِرُ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ كالقانِتِ للّهِ تعالَى، وَهُوَ فِي صلاةٍ مِنْ خروجِهِ إلى المسجِدِ إِلَى عودتِهِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أن من يقعد ينتظر الصلاة، فهو كالقانت لله تعالىٰ، وأنه في صلاة من خروجه إلىٰ المسجد إلىٰ عودته؛ فعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﵁، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْقَاعِدُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهِ»[1].

عَدَّ الحديثُ الملازِمَ للمَساجِدِ للصَّلاةِ فِيهَا كالقَانِتِ للهِ تَعالَىٰ فِي ليلِهِ ونهارِهِ؛ ففِي قولِهِ ﷺ: (الْقَاعِدُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ) إشارَةٌ إِلَىٰ مُلازَمَةِ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ، فَهُوَ يقعدُ لَهَا لا إِلَىٰ غيْرِهَا، كمَنْ يَقْعُدُ لحاجَتِهِ، فَإِنَّ مَنْ هذا حالُهُ مَعَ الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ كَمَنْ هُوَ قَانِتٌ للهِ تَعَالَىٰ، والقَانِتُ: الْقَائِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ اسْتِفْرَاغِ الْجُهْدِ فِي طاعَةِ اللهِ تعالىٰ، وَالامْتِثَالِ بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ، وكالْمُصَلِّي

---

(1) أخرج ابن حبان في صحيحه: 5/ 386، رقم:(2038)، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.



الَّذِي يَطُولُ قِيَامُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَكْثُرُ قِرَاءَتُهُ فِيهَا، وَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ تَعالَىٰ القَانِتِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾[1].

ثُمَّ إِنَّ المُنتظِرَ الصلاةَ فِي المَسْجِدِ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ المُصَلِّي مَا دامَ هَذا حالُهُ؛ حتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ بيتِهِ، وذلك قوله ﷺ: «وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهِ» ورُجُوعُهُ لَيْسَ كَكُلِّ رجوعٍ، إِنَّهُ رُجوعُ العَبْدِ الشَّرِيفِ، القَانِتِ، الخَاشِعِ، رُجوعُ مَنِ امْتَلَأَتْ صحيفَةُ يومِهِ بالحَسناتِ الثَّقِيلاتِ، وهَلْ أثقلُ فِي الميزانِ مِنْ قُنُوتٍ فِي صَلاةٍ؟!

## ❁ ثَالِثَ عَشَرَ: الصَّلاةُ فِي المَساجِدِ مَغْفِرَةٌ للذُّنوبِ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنْ مَشَىٰ إِلَيْهَا، وأَدَّىٰ الصَّلاةَ فيها؛ غُفِرَ لَهُ بذلِكَ ذَنْبُهُ؛ فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ:

---

(1) الزمر: 9.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ، فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ[1]، ثُمَّ مَشَىٰ إِلَىٰ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا مَعَ الإِمَامِ؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[2].

ولمَّا كانَ الإنسانُ خَطَّاءً، لَا ينفكُّ عَنِ الخَطَأِ فِي كُلِّ وقتٍ؛ فَتَحَ اللهُ تَعالَىٰ بابًا خَاصًّا للتوبَةِ فِي كُلِّ وقتٍ؛ فَمَنْ وقعَ فِي ذَنْبٍ؛ فَلا عليهِ إِلَّا أَنْ يَتَحَيَّنَ الصلاةَ القَابِلَةَ؛ ويُسْبِغَ وضوءَهُ، ويمْشِي عَلَىٰ قدمَيْهِ إِلَىٰ المسجِدِ؛ ويُصلِّيها معَ الإمامِ جماعَةً؛ ثُمَّ لَهُ البُشْرَىٰ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ بِمَغْفِرَةِ ذَنْبِهِ ذلِكَ؛ وكُلَّمَا وقَعَ فِي الخَطَأِ؛ خَطَا إِلَىٰ المَسْجِدِ؛ فَلا تَزَالُ الصَّلاةُ فِي المَسجِدِ بالعبدِ الصَّالِحِ؛ حتَّىٰ يلقَىٰ اللهَ تعالَىٰ، ولَيْسَ عليهِ خَطِيئَةٌ.

ثُمَّ ينبغِي العلمُ أَنَّ الذُّنوبَ التِي تُكَفِّرُها الصَّلاةُ فِي المساجِدِ؛ هِيَ صَغَائِرُ الذُّنوبِ؛ وأمَّا كبائِرُ الذُّنوبِ؛ فَهِيَ بحاجَةٍ إِلَىٰ تَوْبَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ بشرُوطِهَا؛ وَإِنَّهُ إنْ تَرَجَّحَ لَدَىٰ العُلماءِ أَنَّ التَّكْفيرَ يَقَعُ لِصغائِرِ الذنوبِ دونَ كبائِرِها؛ فإنَّ فضلَ الله تعالىٰ عظيمٌ، ورحمتُهُ واسِعَةٌ؛ وَهُوَ صاحِبُ الجُودِ والكَرَمِ، يَغْفِرُ بالقليلِ مِنَ العَمَلِ؛ الكَبيرَ مِنَ

---

(1) أَسْبَغَ الوُضُوءَ، أَيْ: أَتَمَّهُ، وتَوَضَّأَ وُضُوءًا تَامًّا كاملًا، لا نَقْصَ فيهِ.

(2) أخرجه أحمد في مسنده: 1/ 520، رقم: (482)، وابن خزيمة: 2/ 373، رقم: (1489)، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.



الزَّلَلِ؛ والظنُّ بِهِ سبحانَهُ أنْ يَغْفِرَ بالعَمَلِ القليلِ الذَّنْبَ الكبيرَ، إذا لَقِيهُ العبدُ مفتقرًا إليه، راجيًا عَفْوَهُ ومَغْفِرَتَهُ؛ مُحْسِنًا ظَنَّهُ بِهِ؛ خاصة «وَإِذَا لَمْ يَكُنْ للمَرْءِ صغائرُ تُكَفَّرُ؛ رُجِيَ لَهُ أنْ يُكَفَّرَ عنْهُ بمقدارِ ذلكَ مِنَ الكبائرِ، وإلا أُعْطِيَ مِنَ الثوابِ بِمِقْدارِ ذلكَ»[1]؛ ولكنْ يَنْبَغِي علَىٰ العبدِ العَمَلَ بالأَحْوَطِ؛ لِمَا بَينَ يَدَيْهِ من فَظائِعَ وأهوالٍ؛ فيتوبُ مِنْ كبائِرِ ذُنُوبِه تَوْبَةً مُسْتَقِلَّةً، ويَتَحَلَّلُ مِنْ مَظالِمِ العِبادِ؛ فإنَّ الأَمْرَ شَدِيدٌ، والمَغامَرَةُ مُخْطِرَةٌ؛ فَلْيَأْخُذِ العبدُ لِأَمْرِ آخرَتِهِ مَا هُوَ أَوْثَقُ له وأسلمُ، والله تعالىٰ أعلم.

## ۞ رَابِعَ عَشَرَ: مُضَاعَفَةُ أَجْرِ المُصَلِّي فِي المَسَاجِدِ، وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِ، وحَطُّ خَطَايَاهُ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يُضاعِفُ أَجْرَ صلاةِ العبدِ الذِي يُؤَدِّيها فِي المساجِدِ أضعافًا كثيرةً، ويَرْفَعُ بِخُطاهُ إليها درجاتِهِ، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا مِنْ خَطاياهُ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَىٰ المَسْجِدَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر: 2/ 373.

الصَّلَاةَ، لَمْ يَخطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً، حَتَّىٰ يَدْخُلَ المَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي -يَعْنِي عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ- مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(1). وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله تعالىٰ عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ»(2)، وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ يَرْعَىٰ الصَّلَاةَ؛ كَتَبَ لَهُ كَاتِبَاهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ»(3).

وَهَذِهِ فضيلَةٌ عظيمَةٌ لأهلِ المَساجِدِ؛ فَإِنَّ اللهَ تعالَىٰ جَعَلَ لَهُ عَلَىٰ كلِّ صلاةٍ يُصَلِّيها فِي المَسْجِدِ خمسةً وعشرينَ أو سبعةً وعشرينَ ضِعفًا عَلَىٰ مَنْ يُصَلِّيها وَحْدَهُ؛ ثُمَّ إِنَّ خُطُواتِهِ إِلَىٰ المَسْجِدِ كُلُّ خُطْوَةٍ مِنْهَا ترفَعُهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ درجَةً، وتحطُّ عَنْهُ خطيئةً؛ فَلا يزالُ العبدُ يَمْشِي إِلَىٰ المَسَاجِدِ حَتَّىٰ يَرْفَعَهُ اللهُ تعالىٰ إِلَىٰ مَنَازِلِ القُرْبِ؛ ويَمْحُو عَنْهُ كُلَّ خطيئَةٍ؛ فَهَنِيئًا، ثُمَّ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 103، رقم: (477).

(2) أخرجه مسلم: 1/ 451، رقم: (650).

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه: 5/ 393، رقم: 2045، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.



هَنيئًا لِمَنْ طالَ عُمُرُهُ فِي الإسلامِ، وبَعُدَتْ دِيارُهُ، وَكَثُرَتْ خُطاهُ، وجَعَلَ المَشْيَ إِلَىٰ المَسَاجِدِ تِجارَتَهُ فِي دُنياهُ.

ثُمَّ إنَّ العُلَماءَ قَالُوا فِي الجَمْعِ بينَ الرِّوَاياتِ المُخْتَلِفَةِ فِي العَدَدِ: (خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)، و(سَبْعًا وَعِشْرِينَ): إِنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الْمُصَلِّي وَالصَّلَاةِ، فَلِبَعْضِهِمْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ، وَلِبَعْضِهِمْ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ، بِحَسَبِ كَمَالِ الصَّلَاةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ قِيَامِهَا، وَالْخُشُوعِ فِيهَا، وَشَرَفِ الْبُقْعَةِ، وَالْإِمَامِ[1].

## ۞ خَامِسَ عَشَرَ: صَلاةُ العِشَاءِ فِي المَسَاجِدِ بِقِيامِ نِصْفِ لَيلَةٍ، وصلاةُ الفَجْرِ بِقِيامِ لَيْلَةٍ كامِلَةٍ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ جَعَلَ لِصَلاةِ العِشَاءِ والفَجْرِ مِنَ الفَضْلِ مَا لِقَائِمِ اللَّيْلِ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﵁ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَعَدَ وَحْدَهُ، فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بْنَ أَخِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؛ لعلي القاري: 3/ 831.

صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ»[1]. وفِي رِوايَةٍ: «مَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ؛ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ؛ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ»[2].

إِنَّهُ وَإِنْ كانَ للصلواتِ كُلِّهَا فِي المَسْجِدِ مِنَ الفضلِ والبركَةِ مَا لَهَا؛ فَإِنَّ اللهَ تعالىٰ خَصَّ العِشاءَ والصُّبْحَ بمزيدِ فضلٍ وشرفٍ؛ فَجَعَلَ لِمَنْ صلَّىٰ العشاءَ فِي جماعَةِ المسلمينَ مِنَ الأجرِ كَمَنْ قامَ نصفَ ليلةٍ، ولِمَنْ صلَّىٰ الصُّبحَ فِي جماعةٍ كَمَنْ قامَ ليلةً كاملةً؛ فَيَكُونُ مَنْ صلَّىٰ العِشَاءَ والفَجْرَ فِي جماعةِ المُسلمينَ كَمَنْ قامَ ليلةً ونِصْفَ ليلَةٍ فِي ليلَةٍ؛ فَيَعيشُ بِذَا العَبْدُ مِنْ أهلِ المَساجِدِ حياةً مُضَاعفَةً، وَهَذِهِ -قَدْ واللهِ- بَرَكَةُ الأَعْمَارِ.

ولعلَّ السِّرَّ فِي اختصاصِ هاتَيْنِ الصلاتَيْنِ فِي المَسَاجِدِ بِمَزِيدِ الفَضْلِ؛ أَنَّ المُسْلِمَ عِنْدَ العشاءِ يكونُ مُحْتاجًا إِلَىٰ النَّوْمِ بعدَ مَشَقَّةِ أعمالِ النَّهارِ؛ فَيُسْرِعُ فِي الصلاةِ وحدَهُ للمُبادَرَةِ بالنَّومِ، وعِنْدَ الفجرِ يقومُ مِنْ نومِهِ، ولَمْ يَقْضِ وَطَرَهُ مِنَ النَّومِ؛ فَيُسْرِعُ فِي الصلاةِ وحدَهُ

---

(1) أخرجه مسلم: 1/ 454، رقم: (656).

(2) أخرجه أبو داود في سننه: 1/ 152، رقم: (555)، وصَحَّحَهُ الألباني.

لمِعُاوَدَةِ النَّومِ؛ وَلِأَنَّ فيهما مِنَ المَشَقَّةِ والكُلْفَةِ مَا فِي قيامِ اللَّيلِ، ثُمَّ إِنَّهُمَا صَلاتانِ لَيْلِيَّتانِ، «وَأداؤُهُمَا مَعَ الْجَماعَةِ الْمُسْتَدْعِيَةِ لِلسَّعْيِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فِي الظُّلَمِ، والْبَاعِثَةِ عَلَىٰ انْتِظَارِ الصَّلَاةِ؛ فِيهِ مَعَ فَضِيلَةِ الاِعْتِكَافِ، ومِنْ عَظِيمِ الْمَشَقَّةِ النَّاشِئِ مِنْ تَحَمُّلِهَا عَنْ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ، وَظُهُورِ الْخَوْفِ مِنْ جَلَالِ اللهِ تعالىٰ وَالرَّجَاءِ إِلَىٰ جَمَالِهِ تَعَالَىٰ، وَلَقَدْ فَضُلَ الصُّبْحُ العِشَاءَ فِي الفَضْلِ؛ لأَنَّهُ أَشَقُّ وَأَصْعَبُ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَأَشَدُّ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ تَرْكَ النَّوْمِ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِ أَشَقُّ مِنْ إِرَادَةِ الدُّخُولِ فِيهِ، إِذِ الْكَسَلُ يَسْتَوْلِي فِي الصُّبْحِ أَكْثَرَ، فَتكُونُ مُجَاهَدَتُهُ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ أَكْبَرَ»[1]؛ لذلِكَ كُلِّهِ كُتِبَ للمُحافِظِ عليهِمَا فِي جماعَةٍ كَمَنْ قامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ ونِصْفَهُ فَوْقَهُ فِي الصَّلاةِ والذِّكْرِ، لا يَفْتُرُ مِنْ قِيامٍ ولا مِنْ ذِكْرٍ؛ ولَمَّا كانَتَا مَفْرُوضَتَيْنِ مَكْتُوبَتَيْنِ، وكانَ قيامُ اللَّيْلِ مَسْنونًا مَنْدوبًا إِلَيْهِ؛ فَضُلَتَا قِيامَ اللَّيْلِ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ؛ واللهُ تَعالَىٰ أَعْلَمُ.

---

(1) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 543.



## سَادِسَ عَشَرَ: المُحافَظَةُ علَى إِدْراكِ تَكْبيرَةِ الإحرامِ فِي المساجِدِ أَمَانٌ مِنَ النِّفاقِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ أنَّهُ مَنْ أَدْرَكَ تَكبِيرَةَ الإِحْرَامِ في المَسْجِدِ الزَّمانَ الطَّويلَ لَهُ فَضِيلتانِ، كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فِيهَا؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَىٰ؛ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[1].

وإنَّ مَنْ بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ ومِنَ النَّارِ؛ فَقَدْ تَأَكَّدَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وضَمِنَ دُخولَهَا بِوَعْدِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ ﷺ، ولَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وبينَها إِلَّا أَنْ يَمُوتَ؛ فَجَديرٌ بِكُلِّ عبدٍ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قِيمَةٌ، أَلَّا يفوتَهُ هَذَا العَمَلُ بِهَذَا الحَدِيثِ، وأَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ حَمْلًا لَطِيفًا، وأَنْ يسوقَهَا إِلَيْهِ سَوْقًا رَفِيقًا، فَإِنْ أَبَتْ، وامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ، أنْ يُجاهِدَهَا، ويقهرَهَا عَلَيْهِ، وجديرٌ بالآباءِ والمُرَبِّينَ والدُّعاةِ أَنْ يُرَغِّبُوا صِبْيَانَهُمْ فِي إدراكِ هَذِهِ الفَضِيلَةِ، وأنْ يُحَفِّزُوهُمْ بالمُسَابَقَاتِ والهَدَايا والرِّحلاتِ الهَادِفَةِ، وكلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ ربطُ الصِّغارِ بالمساجِدِ، وتَحْبِيبُهُمْ بِهَا.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 2/ 7، رقم: (241)، وحَسَّنَهُ الألباني.

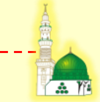


وَفِي تعيينِ عددِ الأيامِ بالأربعينَ مَقْصِدٌ لَطيفٌ، وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ علَىٰ اعتيادِ الصلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وتَحرِّي تكبيرةِ الإحرامِ فِي المَسْجِدِ فِي صلواتِهِ كُلِّهَا؛ فَإذا بلغَ بِهِ الاعتيادُ هَذِهِ المُدَّةَ؛ مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ؛ رُجِيَ أنْ تُصْبِحَ الصلاةُ فِي المَسْجِدِ والحِرْصُ علَىٰ الصَّفِّ الأَوَّلِ عَادةً لَهُ ودَأَبًا، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

* اخْتَلَفَ العُلمَاءُ متَىٰ تُدْرَكُ التَّكْبيرَةُ الأُولَىٰ عَلَىٰ أَقْوالٍ، وَالَّذِي تَميلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ أَنَّ إِدْرَاكَ التَّكبيرَةِ الأُولَىٰ إِنَّمَا يَكُونُ بإِدْراكِ تَكْبيرَةِ الإحْرَامِ مَعَ الإِمامِ، إِذْ إِنَّ مَنْطُوقَ الحديثِ صَرِيحٌ بِلَفْظِ: (يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَىٰ)، أَمَّا مَنْ أَدْرَكَ شَيْئًا مِنَ الفَاتِحَةِ، وَلَمْ يَشْهَدْ تكبيرَةَ الإِحْرَامِ مَعَ الإِمَامِ، فَلا يُقالُ لَهُ: مُدْرِكُ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ، وَإِنَّما مُدْرِكُ الرَّكْعةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

## سَابِعَ عَشَرَ: الغُدُوُّ إلى المَسْجِدِ بِنِيَّةِ تَعَلُّمِ الخَيْرِ كَأَجْرِ الحَاجِّ تَامِّ الحَجِّ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ الخُروجَ إِلَيْهَا بِنِيَّةِ الصَّلاةِ وتَعَلُّمِ العِلْمِ وتَعْلِيمِهِ كأجْرِ الحَجِّ التَّامِّ الكَامِلِ؛ وأَنَّ تَعَلُّمَ العِلْمِ فِيهَا لَيْسَ كَتَعَلُّمِهِ فِي غَيْرِهَا؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:



«مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، لَا يرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامٍّ حَجُّهُ»[1].

فَمَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِ إِلَّا أنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ فِي تَعَلُّمِ الخَيْرِ أَو تَعْلِيمِهِ، مَعَ كَوْنِهِ خَارِجًا لِلصَّلَاةِ؛ ثُمَّ لِيُبْشِرْ بأَجْرِ حَاجٍّ ذَهَبَ وجاءَ؛ فَقَدْ أفادَ قَولُهُ ﷺ: (تَامٍّ حَجُّهُ) التأكيدَ عَلَىٰ حُصُولِ أَجْرِ الحَجِّ، فَهُوَ حَجٌّ تَامٌّ؛ فَلَا يَطْرُقُ قَلْبَهُ شكٌّ فِي بلوغِ مَا وَعَدَ رسولُ اللهِ ﷺ، وَهَذَا الوَعْدُ لَيْسَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِعَزِيزٍ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ أكرمُ الأَكْرَمِينَ، وأَجْودُ الأَجْوَدِينَ؛ فَإِذَا أَعْطَىٰ؛ أَفْرَحَ وأَسْعَدَ وأَدْهَشَ.

وذُكِرَتْ كَلِمَةُ (خَيْرًا) فِي الحديثِ نَكِرَةً؛ لِتَعُمَّ وتَشْمَلَ كُلَّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ وَصْفُ الخَيرِ: مِنْ مَجْلِسِ عِلْمٍ يَجْلِسُهُ، أَوْ مَوْعِظَةٍ يَسْمَعُهَا، أَوْ حَدِيثٍ يَتَعَلَّمُهُ، أَوْ مَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ يَتَدَارَسُهَا، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ؛ فَلْيَقْرَأْ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، مُتَدَبِّرًا مَعْنَاهَا، مُتَعَلِّمًا مَا فِيهَا؛ فإنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك؛ يُرْجَىٰ أن يُكْرِمَهُ اللهُ تعالَىٰ بِالثَّوابِ المَذْكُورِ فِي الحَدِيثِ؛ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: 8/ 94، رقم: (7473)، وصَحَّحَهُ الألباني.

## ثَامِنَ عَشَرَ: الخروجُ إلى المَسْجِدِ للصَّلاةِ كَأجْرِ الحَاجِّ الْمُحْرِمِ، ولِصَلاةِ الضُّحَى كَأجْرِ الْمُعْتَمِرِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ لِمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بيتِهِ إِلَىٰ المَسْجِدِ مُتطَهِّرًا بِعَامَّةٍ كَأَجْرِ مَنْ أَحْرَمَ بالحَجِّ حَتَّىٰ يُتِمَّهُ، وَجَعَلَ لِمَنْ خَرَجَ إِلَىٰ المَسْجِدِ لِصَلَاةِ الضُّحَىٰ بِخَاصَّةٍ كَأَجْرِ المُحْرِمِ بالعُمْرَةِ حَتَّىٰ يُتِمَّهَا؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَىٰ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَىٰ تَسْبِيحِ الضُّحَىٰ[1] لَا يَنْصِبُهُ[2] إِلَّا إِيَّاهُ؛ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَىٰ أَثَرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا؛ كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ»[3].

---

(1) تَسْبِيحِ الضُّحَىٰ: صَلَاةِ الضُّحَىٰ، وَكُلُّ صَلَاةِ تَطَوُّعٍ تَسْبِيحَةٌ وَسُبْحَةٌ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 612.

(2) لَا يَنْصِبُهُ: لَا يُتْعِبُهُ ولَا يُخْرِجُهُ وَلَا يُزْعِجُهُ، إِلَّا الخروج إلىٰ المسجد لصلاة الضُّحَىٰ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 612.

(3) أخرجه أبو داود في سننه: 1/ 153، رقم: (558)، وحَسَّنَهُ الألباني.

عَظِيمَةٌ هِيَ البُشْرَىٰ لِأَهْلِ المساجِدِ؛ أَجْرُ خَمْسِ حَجَّاتٍ وخَمْسِ عُمَرٍ مُتَتَابِعَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَفَوْقَهَا بِشَارَةٌ لِمَنْ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ فِي إِثْرِ الصَّلاةِ لا يُلْهِيهِ عَنْهَا شَيْءٌ بِأَنْ يُسَجَّلَ اسمُهُ فِي دِيوانِ الأَبْرارِ، وذَلِكَ حينَ يَصْعَدُ بِرُوحِ العَبْدِ الطَّيِّبَةِ عِنْدَ مَوْتِهَا، فَلا يزالُ بِهَا حتَّىٰ يُؤْتَىٰ بِهَا إِلَىٰ اللهِ ﷻ؛ فَيُأْمَرَ بِأَنْ تُكْتَبَ تِلْكَ الرُّوحُ فِي ديوانِ الأبرارِ، ويَشْهَدَ عَلَىٰ كِتَابها ذَلِكَ المُقَرَّبونَ مِنَ الملائِكَةِ؛ وذَلِكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَمِنْ هَذَا أَخَذَ أَئِمَّتُنَا قَوْلَهُمْ: السُّنَّةُ فِي الضُّحَىٰ فِعْلُهَا فِي الْمَسْجِدِ، وَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُسْتَثْنَيَاتِ مِنْ خَبَرِ: «أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»[2].

ومِمَّا يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَ أنَّ بلوغَ هَذَا الأَجْرِ لا يُسْقِطُ عَنْهُ فريضَةَ الحجِّ المكتوبَةِ، والتِي هِيَ فَرِيضَةُ الإِسلامِ؛ فَهَذَا أَجْرٌ يُنْفِلُهُ اللهُ

---

(1) المطففين: 18-21.

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 612.



تعالىٰ إِيَّاهُ؛ وتَبْقَىٰ فَرِيضَةُ الإسلامِ فِي عُنُقِهِ حتَّىٰ يُؤَدِّيَها للهِ تَعالَىٰ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَهِيَ حَقُّ اللهِ تعالىٰ عَلَىٰ عِبادِهِ، لا يُعفَىٰ عَنْهُ إِلَّا بالعُذْرِ؛ ثُمَّ عَلَىٰ وَلِيِّهِ أنْ يُؤَدِّيَها عَنْهُ إِنْ قَدَرَ، واللهُ تَعالَىٰ أَعْلَمُ.

## ۞ تَاسِعَ عَشَرَ: مَنْ أَحَبَّ المساجِدَ فَهُوَ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللهِ تعالَى يومَ القِيامَةِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَحَبَّةِ بيوتِ اللهِ تَعالَىٰ؛ فَإِنَّ لَهُ وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ علَىٰ لِسانِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُظِلَّهُ فِي ظِلِّهِ يومَ يُحْشَرُ النَّاسُ فِي صَعيدِ يومِ القِيامَةِ، حيثُ لا ظِلَّ فِيهَا لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ[1]، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ[2]، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ

(1) ظِلِّهِ: وَالْمُرَادُ هُنَا ظِلُّ الْعَرْشِ، كَمَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي حَدِيثٍ آخَرَ.

(2) اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ: كَانَ سَبَبُ اجْتِمَاعِهِمَا حُبَّ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاسْتَمَرَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَفَرَّقَا مِنْ مَجْلِسِهِمَا، وَهُمَا صَادِقَانِ فِي حُبِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ للهِ تَعَالَىٰ حَالَ اجْتِمَاعِهِمَا وَافْتِرَاقِهِمَا.

امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا؛ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

مَا أَحْظَىٰ أَهْلَ المَسَاجِدِ مِنْ دُونِ النَّاسِ؛ فانْظُرْ مَا جَزاؤُهُ بِوَعْدِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ يُظِلُّهُ اللهُ تعالىٰ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، ولكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ المَشْهَدَ، يومَ يَقِفُ النَّاسُ عَلَىٰ أقدامِهِمْ لِرَبِّ العَالَمينَ، فِي يومٍ كانَ مِقْدارُهُ خمسينَ ألفَ سَنَةٍ، لَا يأكلونَ فيهِ أَكْلَةً، وَلا يَشْرَبُونَ فِيهِ شُرْبَةً، والشَّمْسُ فوقَ الرُّؤوسِ ارْتِفَاعَ مِيلٍ، وقَدْ تفاوتَ النَّاسُ فِي العرقِ؛ حتَّىٰ يغيبَ أقوامٌ فِي عَرَقِهِمْ، وَجِيءَ بِجَهَنَّمَ؛ فَزَفَرَتْ زَفْرَةً شَدِيدَةً، فَلا يَبْقَىٰ نَبِيٌّ إِلَّا جَثَا عَلىٰ رُكْبَتَيْهِ، ودُعاؤُهُمْ: اللَّهُمَّ سلِّمْ، سَلِّمْ، وَقَدِ اسْتَبَدَّ الخوفُ بالخلائِقِ مِنْ طولِ انتظارِ الحِسَابِ؛ فتفزعُ الأُمَمُ إِلَىٰ الأنبياء: آدَمَ عليه السلام فَمَنْ دُونَهُ، يَسْأَلُونَهُمُ الشَّفَاعَةَ، وكَلِمَتُهُمْ جميعًا: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 133، رقم: (660)، ومسلم: 2/ 715، رقم: (1031).



مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»[1]... وَفِي شِدَّةِ هَذِهِ الشَّدَائِدِ والأَهْوَالِ يَبْقَىٰ مَنْ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المساجِدِ فِي الدُّنْيا يَنْعُمُ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللهِ تَعالَىٰ يومَ القِيامَةِ، وَلَا تَسَلْ عَنْ ذَلِكَ الظِّلِّ الظَّلِيلِ، ولكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ عَظَمَةَ ظِلِّهِ تَعَالَىٰ حينَ تَنْعُمُ فِي الدُّنْيا فِي ظِلِّ المُكَيِّفاتِ الصِّناعيَّةِ الحديثَةِ، التِي هَيَّأَتْهَا يَدُ البَشَرِ؛ ولكِنْ أينَ ظِلٌّ مِنْ ظِلٍّ؟!

ثُمَّ انظرِ التَّعْبيرَ النَّبَوِيَّ الشَّريفَ: (قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ)؛ فَإِنَّ تَعلُّقَ القَلْبِ فِي الشَّيْءِ؛ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّة المَحَبَّةِ والارْتِبَاطِ، ثُمَّ إِنَّ التَّعَلُّقَ يَعْنِي الارْتِبَاطَ بالعُلُوِّ، والتَعَلُّقُ فِي المَسْجِدِ كَتَعَلُّقِ القِنْديلِ المُضيءِ في السَّقْفِ، فَهُوَ مُضِيءٌ مَا دامَ مُعلَّقًا فِي السَّقْفِ، مُتَّصِلًا بِمَصْدَرِ نورِهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ عَنْ مَصْدَرِ نورِهِ؛ فتصيبُهُ مُصيبتَانِ: الأولَىٰ: انطفاءُ نورِهِ؛ والثَّانِيةُ: وقوعُهُ وتَكَسُّرُهُ وهلاكُهُ، وهَكَذَا مَنِ انْقَطَعَتْ عَلاقَتُهُ بالمَسْجِدِ؛ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِهَلاكِهِ، وذَهَابِ نُورِهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 6/ 84، رقم: (4712)، ومسلم: 1/ 184، رقم: (194).

## عِشْرُونَ: المشْيُ إلَى المَسَاجِدِ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي نورٌ تامٌّ يومَ القِيَامَةِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنْ مَشَىٰ إِلَيْهَا فِي ظُلَمِ اللَّيالِي: العِشَاءَ والفَجْرَ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يُكافِئُهُ بنورٍ تامٍّ يومَ القِيامَةِ؛ فعَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَىٰ المَسَاجِدِ؛ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَشَىٰ فِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ؛ آتَاهُ اللهُ نُورًا يومَ الْقِيَامَة»[2].

تَأَمَّلْ كَلِمَةَ (بَشِّرِ) مِنْ فَمِ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذِ التَّبْشِيرُ لا يكونُ إِلَّا فِي أَمْرٍ فِيهِ سعادَةُ المُبَشَّرِينَ وسُرورُهُمْ؛ ثُمَّ انْظُرِ البِشَارَةَ؛ إِنَّها لَيْسَتْ كَكُلِّ بِشاراتِ أهلِ الأرضِ؛ إنَّها بشارَةٌ سَمَاوِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ؛ إِنَّهُ نُورٌ، وأَيُّ نُورٍ؟! إِنَّهُ نُورٌ تامٌّ كامِلٌ شامِلٌ، يُجَلِّلُهُمْ، ويُحِيطُ بِهِمْ، وَيَكْتَنِفُهُمْ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ، ومَتَىٰ يكونُ هَذَا النُّورُ؟! إِنَّهُ أحوجُ مَا يَكُونونَ إِلَيْهِ يومَ

---

(1) أخرجه ابن ماجه: 1/ 257، رقم: (781)، وأبو داود: 1/ 154، رقم: (561)، والترمذي في سننه: 1/ 435، رقم: (223)، وصَحَّحَهُ الألباني.

(2) أخرجه ابن حبان: 2044، رقم: (2046)، وصَحَّحَهُ الألباني.



القِيامَةِ، ومَا أدراكَ ما يومُ القِيامَةِ؟! يومَ تَشْتَدُّ الظُّلْمَةُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ فَلا يُبْصِرُ أحدٌ إِبْهَامَهُ مِنْ شِدَّةِ الظُّلماتِ؛ إِلَّا مَنْ يَجْعَلُ اللهُ تعالَىٰ لَهُ النُّورَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1].

اعْتَادُوا المَشْيَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي إِلَىٰ المَسَاجِدِ فِي الدُّنْيا؛ فَرُبَّمَا تَعَثَّرَتْ أقدامُهُمْ، وَشُجَّتْ رُؤُوسُهُمْ، وأَخَافَتْهُمْ كِلَابُهَا وسِبَاعُهَا ومَخَاوِفُهَا؛ فَعَوَّضَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَعْظَمَ عِوَضٍ وأَشْرَفَهُ؛ فَأَيُّ فَضْلٍ فَوْقَ هَذَا الفَضْلِ؛ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ، أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ، وَهُوَ شَهِيدٌ.

## ۞ حَادِي وَعِشْرُونَ: المساجِدُ بيوتُ الأَتْقياءِ، وسَبَبٌ لِسُرْعَةِ جوازِ الصِّراطِ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّها سَبَبٌ فِي تَسْجِيلِ اسْمِ العَبْدِ المُسْلِمِ فِي دِيوانِ الأَتْقِياءِ، وضَمَانٌ لَهُ بالرَّحْمَةِ والرَّاحَةِ وجوازِ الصِّرَاطِ يومَ القِيامَةِ؛ فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: كَتَبَ سَلْمَانُ إِلَىٰ أَبِي الدَّرْدَاءِ: يَا أَخِي، لِيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ[2]، فَإِنِّي

---

(1) النور: 40.

(2) بَيْتُكَ، أَيْ: مِثْلُ بَيْتِكَ فِي كَثْرَةِ الجُلُوسِ فِيهِ.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَقَدْ ضَمِنَ[1] اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُم بِالرَّوْحِ[2]، وَالرَّاحَةِ، وَالْجَوَازِ[3] عَلَىٰ الصِّرَاطِ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[4].

هذا ضَمَانٌ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ الذِي لا ينطِقُ عَنِ الهَوَىٰ، وكَفَالَةُ صاحِبِ الجَاهِ العَظيمِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَشَفاعَةُ صَاحِبِ الشَّفاعَةِ التِي لا تُرَدُّ؛ لِمَنْ لَزِمَ المسجدَ، واتخذَهُ لهُ بيتًا؛ أَنْ يكونَ عندَ اللهِ تعالَىٰ فِي المُتَّقينَ، وأنْ يعيشَ، ويموتَ، وقدِ اكْتَنَفَتْهُ الرَّحْمَةُ والرَّاحةُ فِي شأنِهِ كُلِّهِ، وأنْ يُسْرِعَ بالجوازِ علىٰ الصراطِ يومَ القيامَةِ؛ وقدْ واللهِ إنَّ كلَّ واحدَةٍ من هذهِ الأربعةِ خيرٌ للعبدِ العاقِلِ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا؛ فكيفَ باجتماعِهَا كُلِّهَا؛ فيا بُشْرَىٰ لمَنْ قَرَأَ الرِّسَالَةَ، وَلَزِمَ الوَصِيَّةَ!

---

(1) ضَمِنَ: تَكَفَّلَ.

(2) بِالرَّوْحِ: رَوْحٌ (بِفَتْحِ الرَّاءِ): رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاسْتِرَاحَةٌ، وَفَرَحٌ، وَطِيبُ نَسِيمٍ.

(3) الْجَوَازُ: عُبُورُ الصِّرَاطِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: 6/ 254، رقم: (6143)، وحَسَّنَهُ الألباني.



وإنَّ مَنْ كانَ إِلَىٰ المسجدِ أَسْرَعَ؛ كانَ جوازُه علىٰ الصراطِ أسرعَ، وكانَ سَبْقُهُ إِلَىٰ اللهِ تعالَىٰ يومَ القيامةِ أوَّلَ، وإليهِ أقربَ؛ قالَ الْأَوْزَاعِيُّ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي سَوْدَةَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1] قَالَ: «أَوَّلُهُمْ رَوَاحًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَأَوَّلُهُمْ خُرُوجًا فِي سَبِيلِ اللهِ»[2].

ثمَّ انظرِ الصحابَةَ الكرامَ ﵃؛ كانتْ رسائِلُهُمْ التِي بها يتراسلُونَ، ووصاياهُمُ التِي بِهَا يتواصَوْنَ لزومُ بيوتِ اللهِ تعالَىٰ بالصلواتِ والمُكوثُ فيها؛ فَجديرٌ بكلِّ مُسْلِمٍ يودُّ أنْ لَوْ كانَ أَخًا لِسلمانَ وأَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ تعالَىٰ عنهُمَا أنْ يَلْزَمَ وصِيَّتَهُمَا، وحَقِيقٌ بالإخوَةِ اليومَ أَنْ يَتَوَاصَوْا بذاتِ الوَصِيَّةِ فِي مُرَاسَلاتِهِمْ ومُكَاتَبَاتِهِمْ ووَصَايَاهُمْ، وأنْ يلزَمُوهَا غَايَةَ اللُّزومِ.

---

(1) الواقعة: 10، 11.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 6/ 109.

## ثَانِي وَعِشْرُونَ: عُمَّارُ المَسَاجِدِ جِيْرَانُ اللّهِ تَعَالَى يَومَ القِيامَةِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنَّ عُمَّارَ بيوتِ اللهِ تعالىٰ بالصَّلاةِ والتِّلاوةِ والذِّكْرِ فِي جِوارِ ربِّ الأربابِ يومَ القيامةِ؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟ قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا، وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ؟»[1].

عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ هُمُ الذِينَ يَعْمُرُونَهَا بِالصَّلَاةِ وَالتِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ وَالعِلْمِ وَالعِبَادَاتِ كَمَا يَعْمُرُونَ بيوتَهُمْ؛ يُنَادَىٰ عليهِمْ لمجاورَةِ اللهِ تَعالَىٰ يومَ القِيامَةِ؛ فأيُّ كرامَةٍ تُرْجَىٰ للعبد أبلغُ مِنْ أنْ يُنادِيَ اللهُ تعالىٰ بِشَرَفِهِ وفَضْلِهِ بينَ الملائِكَةِ؟! وأيُّ وَصْفٍ أرفعُ مِنْ وَصْفِ (جيرانُ اللهِ تعالَىٰ)؟! وأَيُّ فَضْلٍ أعظمُ مِنْ أنْ يكونَ فِي مَنَازِلِ الجِوارِ والقُرْبِ مِنَ اللهِ تعالَىٰ يومَ القِيامَةِ؟! وأيُّ خُسرانٍ هُوَ خُسرانُ

---

(1) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده: 1/ 251، رقم: (126)، وقال الألباني: «إسناده جيد».

مَنْ يُعْرَضُ عليهِ هَذَا، ثُمَّ يزهدُ فيهِ ويُفَرِّطُ، ويَفُوتُهُ هذا الشَّرفُ العظيمُ؟!

وهَلْ بَقِيَ لِمُسْلِمٍ عاقلٍ بعدَ هذا العَرْضِ مِنْ تَرَدُّدٍ فِي البَدْءِ بِعَهْدٍ جديدٍ مَعَ المَسَاجِدِ، وعلاقَةٍ جديدةٍ؛ عَهْدِ العَمَارَةِ، وعَلَاقَةِ الجِوَارِ؟!

## ۞ ثَالِثٌ وَعِشْرُونَ: مُدَاوَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى المُكُوثِ فِي المَسْجِدِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أن النَّبِيَّ ﷺ كانَ يلزَمُ مُصَلَّاهُ مِنَ المَسْجِدِ الذي يُصَلِّي فيهِ كلَّ فجرٍ حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ

أَوِ الْغَدَاةَ[1] حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ؛ قَامَ[2]، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ[3]، فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ[4].

* وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّىٰ الْفَجْرَ؛ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا[5]»[6].

هَذَا الحديثُ يَحْكِي سُنَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَنَّهُ كانَ يَتَوَطَّنُ المَسْجِدَ، ويمْكُثُ فيهِ بعدَ الصَّلاةِ، ومِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كانَ لا يبرَحُ مُصَلَّاهُ الذِي يُصَلِّي فيهِ الصُّبْحَ، حتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، يَأْتِي مِنْ أذكارِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا شاءَ اللهُ تعالَىٰ أَنْ يأتِيَ، وَيَتَحَصَّنُ بأَذْكَارِ الصَّبَاحِ، ثُمَّ يقومُ بعدَ ذَلِكَ يُصَلِّي، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، قَالَ النَّوَوِيُّ: «فِيهِ اسْتِحْبَابُ

---

(1) الْغَدَاةَ: صَلَاةُ الفَجْرِ.

(2) قَامَ، أَيْ: لِصَلَاةِ الإِشْرَاقِ، وَهُوَ مَبْدَأُ صَلَاةِ الضُّحَىٰ، أَوْ قَامَ لِلانْصِرَافِ مِنْ مُصَلَّاهُ.

(3) فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: يَتَذَاكَرُونَ أَخْبَارَ الجَاهِلِيَّةِ، وَيَضْحَكُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، وَيَحْمَدُونَ رَبَّهُم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ هَدَاهُم لِلإِسْلَامِ.

(4) أخرجه مسلم: 1/ 463، رقم: (670).

(5) حَسَنًا: طُلُوعًا حَسَنًا، أَيْ: مُرْتَفِعَةً.

(6) أخرجه مسلم: 1/ 464، رقم: (670).



الذِّكْرِ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَمُلَازَمَةُ مَجْلِسِهَا؛ مَا لَمْ يَكُنْ عُذْرٌ، وقَالَ الْقَاضِي: هَذِهِ سُنَّةٌ كَانَ السَّلَفُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَفْعَلُونَهَا، وَيَقْتَصِرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَىٰ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ»[1].

ولَقَدْ كانَ للصالحينَ فِي هذا الوقتِ شأنٌ خاصٌّ، ومِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ عَنْ شَيْخِهِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، قالَ: «حَضَرْتُ شَيْخَ الإِسْلامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ مَرَّةً، صَلَّىٰ الفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ إِلَىٰ قَرِيبٍ مِن انْتِصَافِ النَّهارِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، وقالَ: هَذِهِ غَدْوَتِي[2]، لَوْ لَمْ أَتَغَدَّ الغَدَاءَ؛ سَقَطَتْ قُوَّتِي»[3].

واحْذَرِ الحَذَرَ كُلَّهُ أَنْ تَخُوضَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وأَنْتَ فِي المَسْجِدِ، فِي كَلَامِ الدُّنْيا، أَوْ تَذْكُرَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهَا؛ فَتَفْسَدَ عِبادَتُكَ، وَتَبُوءَ بالخُسْرانِ؛ فإِنَّ ذِكْرَ الدُّنْيا فِي بيوتِ اللهِ –وَقْتَ انْتِظَارِ الشُّرُوقِ، وَفِي كُلِّ

---

(1) شرح النووي علىٰ مسلم: 15/ 79.

(2) شَبَّهَ العبادَةَ فِي هذه الساعَةِ بطعامِ الغَدَاءِ، الذي تَقُومُ به الأبدانُ، ويَتَقَوَّىٰ بِهِ سَائِرَ نَهَارِهِ، وهذه الساعة من الخلوة والعبادة تقوم به الأنفس والأرواح، فَيَتَقَوَّىٰ بها علىٰ سَائِرِ الأَوْقَاتِ.

(3) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1/ 42.

وَقْتِ- سوءُ أَدَبٍ مَعَ اللهِ تَعالَىٰ؛ إِذِ المَساجِدُ لَمْ تُبْنَ إِلَّا للعِبَادَةِ، واللهُ تعالىٰ غَنِيٌّ عَنْ عِبادَةِ مَنْ يُسِيءُ أَدَبَهُ في بَيْتِهِ، ويخُوضُ فِي ذِكْرِ الدُّنْيا، ولَقَدِ اشْتَدَّ نَكِيرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَنْ يَتَحَدَّثُ فِي أُمُورِ الدُّنْيا فِي المَسَاجِدِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ، لَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ»[1]. وَفِي رِوَايةٍ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي علَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَتَحَلَّقُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ، ولَيْسَ هِمَّتُهُمْ إِلَّا الدُّنْيا، لَيْسَ للهِ فِيهِمْ حاجَةٌ؛ فَلَا تُجالِسُوهُمْ»[2].

وَاخْلُ بِنَفْسِكَ فِي هَذِه السَّاعَةِ المباركَةِ، وَلَا تَخْتَلِطْ بِإِخْوانِكَ؛ فَإِنَّها قُوتُكَ وَقُوَّتُكَ سَائِرَ النَّهارِ، واشْتَغِلْ بالتِّلَاوَةِ والأَذْكَارِ إِلَىٰ حِينِ تَطْلُعُ الشَّمْسُ.

وابدأْ نهارَكَ بتلاوةِ أذكارِ الصباحِ المأثورةِ المشروعةِ، بقلبٍ حاضرٍ خاشعٍ مُنيبٍ، بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، والتَّحَصُّنِ به سُبْحَانه مما يَعْرِضُ لكَ سائرَ النهارِ؛ فَإِنَّ العَبْدَ لَا يَزَالُ فِي حِفْظِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مَا دَاوَمَ

---

(1) أخرجه ابن حبان: 15/ 163، رقم: (6761)، وصَحَّحَهُ الألباني.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك: 4/ 359، رقم: (7916)، وصَحَّحَهُ الألباني.



عَلَىٰ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ والمَسَاءِ، فَهِيَ حِصْنٌ حَصِينٌ، وَحِرْزٌ مَنِيعٌ مِنْ سَائِرِ العَوَارِضِ والآفَاتِ.

ولا بَأْسَ أن تَسْتَعِينَ بكتابٍ مِنْ كُتُبِ الأذكارِ المُعْتَبَرَةِ عندَ أَهْلِ العلمِ -إنْ لَمْ تكُنْ تَحْفَظُهَا- فإذا حفظتَها، وقرأتَها من ذاكِرَتِك؛ فهو أرجىٰ لِحُضُور القَلْبِ وخُشُوعِهِ. واجعلْ هذه الأذكارَ وِرْدًا دائمًا لك لا تُخِلُّ بها أبدًا، ثُمَّ زِدْ عَلَيها مَا تَشَاءُ مِنَ الأَذْكَارِ الفَاضِلَةِ، أَوْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ. مُرَاعِيًا جَمْعَ هَمِّكَ وَفِكْرِكَ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مُتفكِّرًا فِي مَعَانِي مَا تقْرَأُ ومَا تَذْكُرُ، وَحَرِّكْ بِهَا قَلبَكَ؛ حَتَّىٰ تَجِدَ لَهَا أَثَرًا وَحَلاوَةً فِي قلبِكَ ونَفْسِكَ.

ولْتَجْعَلْ لِنَفسِكَ وِرْدًا مِنَ الذِّكْرِ المُطْلَقِ فِي هَذَا الوَقْتِ الشَّرِيفِ تُداوِمُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ: مِائةً: (سُبْحانَ اللهِ)، وَمِائةً: (الحَمْدُ للهِ)، ومِائةً: (لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ)، وَمِائةً: (اللهُ أكبرُ)، ومِائةً: (سُبْحَانَ اللهِ وبحمدِهِ)، ومِائَةً: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ علَىٰ كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ)، ومِائةً: (سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ)، ومِائةً: (حَسْبِيَ اللهُ، ونِعْمَ الوَكِيلُ)، ومِائةً: (أَسْتَغْفِرُ اللهَ)، وتَخْتِمُها بِمِائةٍ: (اللَّهمَ صلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِه، وسائرِ النَّبِيِّينَ، وسَلِّمْ وبارِك)، فَهَذِهِ

أَلْفِيَّةٌ مُقْتَرَحَةٌ مِنَ الذِّكْرِ المُطْلَقِ، ولَكَ أَنْ تَزِيدَ أَوْ تُنْقِصَ، بِحَسَبِ وُسْعِكَ، ثُمَّ تُعِيدُها عِنْدَ غروبِ الشَّمْسِ بَعْدَ أَذْكَارِ المَسَاءِ؛ وَلْتَلْهَج بِذِكْرِ الرَّحْمنِ مَا بَيْنَهُمَا، وَفِي أَعْقابِ الصَّلَواتِ بالأَذْكَارِ المَخْصُوصَةِ؛ فإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ، وأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ؛ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا، وَأَفْضَلُ كُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا للهِ تَعالَىٰ، وذَاكِرُ اللهِ تَعالَىٰ؛ اللهُ تَعالَىٰ مَعَهُ بِتَأْيِيدِهِ وتَسْدِيدِهِ وتَوْفِيقِهِ مَا دَامَ يَلْهَجُ بِذِكْرِ اللهِ تَعالَىٰ؛ فَفِي الحَدِيثِ الإِلَهِيِّ: «قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»[1].

وَلْتَكُنْ أوقاتُكَ بعد الصلاةِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ، مُوزَّعةً علىٰ أَرْبَعِ وظائِفَ: وظيفةٍ في الدعواتِ، ووظيفةٍ في الأذكارِ، ووظيفةٍ في قراءةِ القرآنِ، ووظيفةٍ في التَّفَكُّرِ، فَتَفَكَّرْ فِي ذُنُوبِكَ وخَطَاياكَ وَتَقْصِيرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلاكَ، وَتعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ الأَلِيمِ، وَسَخَطِهِ العَظِيمِ.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 16/ 572، رقم: (10976)، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.



## رَابِعٌ وَعِشْرُونَ: المُكُوثُ فِي المَسْجِدِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى شُرُوقِ الشَّمْسِ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ جعلَ لِمَنْ يمكثُ فِي المَسْجِدِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَىٰ شُرُوقِ الشَّمْسِ مِنَ الأَجْرِ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ»(1).

مَنْ أَنْعَمَ النَّظَرَ فِي الحديثِ؛ عَلِمَ عظيمَ موقِعِ تَوَطُّنِ المسجدِ مِنْ صلاةِ الصُّبْحِ إِلَىٰ طلوعِ الشَّمسِ، عَلَىٰ الصِّفَةِ المذكورةِ؛ فَإِنَّ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ عندَ العلماءِ، أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ الأجرُ؛ دلَّ علَىٰ عَظَمَةِ العَمَلِ؛ فأجرُ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ، لا يكونُ إِلَّا علَىٰ عملٍ عظيمٍ، يُحِبُّهُ اللهُ تباركَ وتعالَىٰ، ثُمَّ انظرْ فِي قولِهِ ﷺ: (تَامَّةٍ) فِي صِفَةِ الحجِّ والعُمْرَةِ، أَيْ: كَامِلَةٌ غَيْرُ مَنْقُوصَةٍ؛ يَتَأَكَّدْ لكَ أنَّ الوعدَ حَقٌّ مُؤَكَّدٌ، لَا شَكَّ فيهِ.

ولمَّا عَلِمَ الصَّالحونَ ذلكَ؛ كانُوا يَحْرِصُونَ عَلَىٰ هَذِهِ السُّنَّةِ الحِرْصَ كلَّهُ، لا يُخِلُّونَ بِهَا؛ فعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: دَخَلْتُ

---

(1) أخرجه الترمذي: 2/ 481، رقم: (586)، وحَسَّنَهُ الألباني.

عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَقَدْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: لَوْ قُمْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ؛ كَانَ أَوْطَأَ لَكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ؛ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَمَنْ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ؛ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»(1)، وهَذِهِ كرامَةٌ أُخْرَىٰ أنْ يَتَشَرَّفَ العبدُ بصلاةِ المَلائكَةِ عليهِ، يدعونَ لَهُ بالمغفرَةِ والرَّحْمَةِ؛ فَهَلْ بعدَ هذا العَرْضِ مِنْ تَرَدُّدٍ؛ لِمَنْ عَقَلَ، وحَرَصَ علَىٰ الخَيراتِ الكثيراتِ؟!

## ۞ خَامِسٌ وَعِشْرُونَ: الخُطْوَةُ إِلَى الجُمُعَةِ بِسَنَةٍ: صِيَامٍ، وَقِيَامٍ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنْ بَكَّرَ إِلَىٰ الجُمُعَاتِ ماشيًا؛ جَاءَتْه البُشْرَىٰ بعظيمِ الأَجْرِ علَىٰ كُلِّ خُطْوةٍ يَخْطُوها إِلَىٰ الجُمُعاتِ؛ فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَىٰ وَلَمْ

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 2/ 407، رقم: (1251)، وحَسَّنَهُ شعيب الأرنؤوط.

يَرْكَبْ، فَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ، وَاسْتَمَعَ، وَلَمْ يَلْغُ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ، صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[1].

يا لَعَظيمِ بَرَكَةِ المَشْيِ إِلَىٰ المساجِدِ لأداءِ الجُمُعَةِ، بشروطِ الحديثِ: (غَسَّلَ): غَسَلَ شَعْرَهُ وَبَدَنَهُ، (وَاغْتَسَلَ) تَوْكِيدٌ لَهَا، وبَكَّرَ لها، أَيْ: ذَهَبَ مُبَكِّرًا إِلَىٰ المَسْجِدِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، (وَابْتَكَرَ) تَوْكِيدٌ لَهَا. (وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ)، أي: ذَهَبَ مَاشِيًا عَلَىٰ قَدَمَيْهِ، وَلَمْ يَرْكَبْ دَابَّةً وَلَا حَافِلَةً، ثُمَّ لمَّا كانَ فِي المَسْجِدِ؛ دَنَا مِنَ الْإِمَامِ، واقتربَ ما أمكَنَهُ الدُّنُوُّ والاقترابُ، وَاسْتَمَعَ لخطبَتِهِ وموعِظَتِهِ بِسَمْعِ أذنِهِ وقَلْبِهِ معًا، وَلَمْ يَلْغُ بِذِكْرِ أمرٍ مِنْ أمورِ الدُّنيا مَا دامَ فِي بيتِ اللهِ تعالَىٰ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ عظيمِ الأجرِ، وكريمِ الفضلِ مَا يعجزُ عَنْ شُكْرِهِ الشَّاكرونَ: بكلِّ خطوةٍ يَخطوها إِلَىٰ المسجدِ ثوابُ عبادةِ سَنَةٍ صِيامِهَا وَقِيَامِهَا.

فهَلْ بَعْدَ هَذا الأَجْرِ الوَارِدِ فِي الحَدِيثِ مِنْ أَجرٍ؟! وهَلْ فَوْقَ هَذَا الكَرَمِ مِنْ كَرَمٍ؟! وَهَلْ يَرْجُو العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْسَعَ مِنْ هَذَا العَطاءِ؛ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ، صِيامِهَا وَقِيَامِهَا؟! عَمَلٌ قَليلٌ مِنْ عَبْدٍ عَاجِزٍ ضَعيفٍ،

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 26/ 97، رقم: (16178)، والترمذي في سننه: 2/ 367، رقم: (496)، وصَحَّحَهُ الألباني.

وأَجْرٌ كَبِيرٌ مِنْ رَبٍّ غَنِيٍّ حَمِيدٍ؛ فَسُبْحانَكَ اللَّهُمَّ مَا أَكْرَمَكَ!.. وَمَا أَجْودَكَ!.. وَمَا أَعْظَمَكَ!.. وَمَا أَوْسَعَكَ!.. وَمَا أَبَرَّكَ!.. وَمَا أَرْحَمَكَ!.. وما أَرْأَفَكَ!.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فمَنْ وَفَّىٰ بِشُروطِ الجُمُعَةِ الوَارِدَةِ فِي الحديثِ مُجْتَمِعَةً؛ وَفَّىٰ اللهُ تَعالَىٰ لَهُ الأَجْرَ، وَكَانَ لَهُ ضَمَانُ وَعْدِ رسولِ اللهِ ﷺ: (كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ، صِيامِهَا وَقِيَامِهَا)، ومَنْ أَنْقَصَ شَيْئًا مِنْها؛ نَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ بِمِثْلِ ذلِكَ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

## سَادِسٌ وَعِشْرُونَ: الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ لِلجُمُعَةِ خُطًا فِي سبيلِ اللهِ تَعالَى

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ أن المُبَكِّرُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ أَخُو المُجاهِدِ فِي سبيلِ اللهِ تعالَىٰ، المُرابِطِ علَىٰ الثُّغُورِ؛ وحَرَامٌ علَىٰ قَدَمَيْهِ المُغْبَرَّتَيْنِ أَنْ تَمَسَّهُمَا النَّارُ؛ فعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: لَحِقَنِي عَبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ -وَأَنَا مَاشٍ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ-، فَقَالَ: أَبْشِرْ؛

---

(1) الحج: 65.

(2) النساء: 40.



فَإِنَّ خُطَاكَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْسٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَهُمَا حَرَامٌ عَلَىٰ النَّارِ»[1].

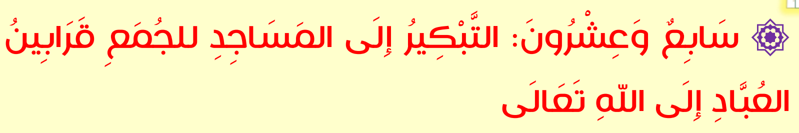
فالخُطَا إِلَىٰ الجُمُعَةِ خُطًا فِي سبيلِ اللهِ تَعالَىٰ، وَمَنِ اغْبَرَّتْ قَدَماهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ الجُمُعَةِ؛ فَهُمَا حَرَامٌ علَىٰ النَّارِ، ولُزُومُ المَسْجِدِ بَعْدَهَا انتظارًا للصلاةِ رِباطٌ فِي سبيلِ اللهِ تعالَىٰ؛ إِنَّ هَذَا واللهِ لَهُوَ الغَنيمَةُ البَارِدَةُ[2]. فَمَنْ أَعْجَزَهُ العُذْرُ عَنِ الجِهادِ والرِّباطِ؛ فَحَسْبُهُ هَذَا؛ ولَا يَعْجزُ بَعْدَ هَذا إِلَّا عاجِزٌ، «وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ»[3].

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه: 4/ 170، رقم: (1632)، وصَحَّحَهُ الألباني.

(2) الغَنيمَةُ البَارِدَةُ: هِيَ التي تَحْصُلُ بِلا حَرْبٍ شَدِيدةٍ، ولَا مَشَقَّةٍ، وهِيَ الَّتي تَجِيءُ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصْطَلَىٰ دُونَهَا بِنَارِ الْحَرِّ، وَيُبَاشَرَ حَرَّ الْقِتَالِ فِي الْبِلَادِ، ولِوُجُودِ الثَّوَابِ بها بِلَا تَعَبٍ كَثِيرٍ.

(3) هَذَا بعضُ حَدِيثٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَمَعْنَاهُ: بَعْدَ هَذا الفَضْلِ العظيمِ مِنَ اللهِ تعالَىٰ، والرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ منه ﷻ: لا يَهْلِكُ علَىٰ اللهِ إِلَّا مَنْ هَلَكَ، وأَلْقَىٰ بيدِهِ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ؛ بِتَرْكِ العَمَلِ بِهَذَا، ورَغْبَتِهِ عَنِ الحَسَناتِ، والإِعْراضِ عَنْها.



## سَابِعٌ وَعِشْرُونَ: التَّبْكِيرُ إِلَى المَسَاجِدِ لِلجُمَعِ قَرَابِينُ العُبَّادِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ التَّبْكِيرَ إِلَيها للجُمَعِ قَرَابِينُ العُبَّادِ إِلَىٰ اللهِ تعَالَىٰ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ[1]، ثُمَّ رَاحَ[2]؛ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً[3]، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ؛ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ؛ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ[4]، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ؛ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ؛ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ؛ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ[5]، يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[6].

---

(1) غُسْلَ الْجَنَابَةِ: غُسْلًا كَغُسْلِ الجَنَابَةِ.

(2) رَاحَ: ذَهَبَ أَوَّلَ النَّهَارِ.

(3) قَرَّبَ بَدَنَةً: البَدَنَةُ: وَاحِدَةُ الإِبِلِ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَىٰ، أي: جعلها قربانًا له، وتَصَدَّقَ بِهَا مُتَقَرِّبًا إِلَىٰ اللهِ تعَالَىٰ.

(4) كَبْشًا: ذَكَرُ الغَنَمِ، وأَقْرَنَ: لَهُ قُرُونٌ، وُصِفَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُ أَكْمَلُ وَأَحْسَنُ.

(5) حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ: دَخَلَتِ المَسْجِدَ، وتَرَكَتْ كِتَابَةَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَتَفُوتُهُ فَضِيلَةُ التَّبْكِيرِ.

(6) أخرجه البخاري: 2/ 3، رقم: (881)، ومسلم: 2/ 582، رقم: (850).

* وَفِي رِوَايَةٍ: «فَرَجُلٌ قَدَّمَ جَزُورًا[1]، وَرَجُلٌ قَدَّمَ بَقَرَةً، وَرَجُلٌ قَدَّمَ شَاةً[2]، وَرَجُلٌ قَدَّمَ دَجَاجَةً، وَرَجُلٌ قَدَّمَ عُصْفُورًا، وَرَجُلٌ قَدَّمَ بَيْضَةً»[3].

إِذَا كانَ أهلُ الدُّنيا يَتَقَرَّبونَ إِلَىٰ عُظمائِهِمْ بقرابينِ الهَدايا؛ فإنَّ العُبَّادَ لَهُمْ قرابينُ مِنْ نوعٍ آخرَ؛ إِنَّها التبكيرُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وإنَّ ممَّا هُوَ مَعلومٌ أنَّ قيمةَ القُربانِ بقيمَةِ المُتَقَرَّبِ إليهِ وتعظيمِهِ فِي نفسِ المُتقرِّبِ؛ فكُلَّما كانَ المُتَقَرَّبُ إليهِ أعظمَ فِي نَفْسِ المُتَقَرِّبِ؛ كانَ قُربانُهُ أَغْلَىٰ وأعظمَ؛ ومنْ كانَ اللهُ تعالَىٰ فِي قلبِهِ ونفسِهِ عَظيمًا؛ كانَ أسبقَ إِلَىٰ الجُمَعَةِ والمساجدِ بعامَّةٍ وأكثرَ تَبْكِيرًا لَهَا؛ وَليَقِسْ كلُّ عبدٍ بِتَبْكِيرِهِ إلىٰ المساجِدِ للجمعَةِ وغيرِها مَا للهِ تعالَىٰ فِي قلبِهِ مِنْ محبَّةٍ وتعظيمٍ.

ولَمَّا كَانَتِ الجُمُعَةُ فِي الْأُسْبُوعِ كَالْعِيدِ فِي الْعَامِ، وَكَانَ الْعِيدُ مُشْتَمِلًا عَلَىٰ صَلَاةٍ وَقُرْبَانِ أضحيةٍ وهَدْيٍ، وَكَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمَ صَلَاةٍ، جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّعْجِيلَ فِيهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ بَدَلًا مِنَ الْقُرْبَانِ، وَقَائِمًا مَقَامَهُ

---

(1) جَزُورًا: الْجَزُورُ: الْبَعِيرُ ذَكَرًا كَانَ أَمْ أُنْثَىٰ.

(2) شَاةً: الشَّاةُ: الْوَاحِدَةُ مِنَ الضَّأْنِ وَالمَعْزِ وَالظِّبَاءِ وَالْبَقَرِ وَالنَّعَّامِ وَحُمُرِ الْوَحْشِ، يُقَالُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ: شَاةٌ.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 18/ 293، رقم: (11769)، وحَسَّنَهُ شعيب الأرنؤوط.

فَيَجْتَمِعُ لِلرَّائِحِ فِيها إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الصَّلَاةُ، وَالْقُرْبَانُ[1]، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْقُرْبَانِ فِي الحديثِ الْإِهْدَاءُ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَأَنَّ الْمُبَادِرَ إِلَيْهَا كَمَنْ سَاقَ الْهَدْيَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ[2].

أَلَا فليتقرَّبْ كلُّ عبدٍ لربِّهِ تباركَ وتعالَىٰ بِمَا يشاءُ؛ فلَيْسَ مَنْ قَرَّبَ للهِ تَعالَىٰ بَيْضَةً ومَنْ قَرَّبَ بَدَنَةً عِنْدَ اللهِ تَعالَىٰ بِسَواءٍ!!! أَلَا وإنَّ المَحرومَ مَنْ حُرِمَ هذا الفضلَ؛ فأَيُّ حِرْمَانٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ تحْرِمَ نَفْسَكَ بِتَقْصيرِكَ مِنْ كُلِّ هَذَا؛ فلا يُكْتَبَ اسْمُكَ فِي دِيوَانِ المَلَائِكَةِ الكِرَامِ، وتَفُوتَكَ قرابينُ مَلِكِ المُلُوكِ جَلَّ جَلَالُهُ، وتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ؟!

## ۞ ثَامِنٌ وَعِشْرُونَ: الوَعْدُ بِبِنَاءِ بيتٍ فِي الجَنَّةِ لِمَنْ بَنَي للهِ تَعَالَى مَسْجِدًا

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنَّ مَنْ بَنَىٰ للهِ تعالَىٰ مَسْجِدًا فِي الأَرْضِ؛ بَنَىٰ اللهُ تعالَىٰ لَهُ بيتًا فِي الجَنَّةِ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

(1) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية: 1/ 386.

(2) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري: 3/ 9.

رَضِيَ اللهُ تعالَىٰ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ بَنَىٰ للهِ مَسْجِدًا، وَلَوْ كَمَفْحَصِ[1] قَطَاةٍ[2] لِبَيْضِهَا؛ بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[3].

هَذَا وَعْدٌ سَخِيٌّ مِنْ كريمٍ جوادٍ سبحانَهُ وتعالَىٰ لِمَنْ بَنَىٰ للهِ تعالىٰ مَسْجِدًا؛ يُعْبَدُ فيهِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الأرضِ؛ أنْ يَبْنِيَ اللهُ تعالَىٰ لَهُ بيتًا فِي الجَنَّةِ؛ مَهْمَا كانَ صِغرُ هَذَا المَسْجِدِ؛ حتَّىٰ لَوْ كانَ بِحَجْمِ مَفْحَصِ طائِرِ القَطَاةِ، وَهُوَ بَيْتُهَا الذِي تَصْنَعُهُ لِتَضعَ فيهِ بَيْضَهَا؛ وَهُوَ مُبَالِغَةٌ فِي الصِّغَرِ؛ وما الظَّنُّ بِبَيْتٍ يَبْنِيهِ اللهُ تعالَىٰ فِي الجَنَّةِ؟! لا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ العظمَةِ والكرامَةِ ما لا يَخْطُرُ علَىٰ بالِ بَشَرٍ؛ وفِي هَذَا ما فيهِ مِنَ الحَثِّ علَىٰ عَمَارَةِ الأرضِ بالمَساجِدِ؛ حتَّىٰ لا يَبْقَىٰ مَكانٌ فِي الأرضِ؛ إِلَّا وبُنِي فيهِ مَسْجِدٌ عَامِرٌ؛ وكَمْ مِنْ مسجدٍ بُنِيَ فِي الأرضِ مَا حملَ علَىٰ بنائِهِ إلَّا هَذا الحديثُ العظيمُ.

---

(1) قَطَاة: طَائِرٌ يشبه الحمامة، ثقيل المشي.

(2) مَفْحَص: موضع تحفره القَطَاةُ؛ لتبيض فيه، وسمي مفحصًا؛ من الفحص، وَهُوَ الْبَحْث والكشف، كَأَنَّهَا تفحص عنه التُّرَاب، أَي: تكشفه.

(3) أخرجه أحمد: 4/ 54، رقم: (2157)، وصَحَّحَهُ الألباني.

## تَاسِعٌ وَعِشْرُونَ: الأَمْرُ ببناءِ المساجِدِ فِي الأحياءِ والمَحَالِّ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ أنْ لا يَبْقَىٰ حَيٌّ مِنَ أحياءِ المسلمينَ إلَّا ويُبْنَىٰ فيهِ للهِ تعالَىٰ مَسجِدٌ، وأنْ يُعْتَنَىٰ بالمساجِدِ؛ فتُنَظَّفَ، وتُعَطَّرَ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا، قَالَتْ: «أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ[1] وَأَنْ تُنَظَّفَ، وَتُطَيَّبَ[2]»[3].

والْمُرَادُ بِالدُّورِ هَاهُنَا الأحياءُ السَّكَنِيَّةُ والمَحَالُّ وَالْقَبَائِلُ، وَحِكْمَةُ أَمْرِهِ ﷺ لِأَهْلِ كُلِّ مَحَلَّةٍ بِبِنَاءِ مَسْجِدٍ فِيهَا؛ أَنَّهُ قَدْ يَتَعَذَّرُ أَوْ يَشُقُّ عَلَىٰ أَهْلِ مَحَلَّةٍ الذَّهَابُ لِلأُخْرَىٰ، فَيُحْرَمُونَ أَجْرَ الْمَسْجِدِ

---

(1) الدُّورِ: جَمْعُ دَارٍ، وَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْبِنَاءِ والمحلات السكنية كالأحياء اليوم، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْمَحَلَّةَ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا قَبِيلَةٌ دَارًا.

(2) تُطَيَّبَ: يُرَشُّ فيها الطيبُ، وهو العِطْرُ.

(3) أخرجه أبو داود: 1/ 124، رقم: (455)، والترمذي في سننه: 2/ 489، رقم: (594)، وصَحَّحَهُ الألباني.

وَفَضْلَ إِقَامَةِ الْجَمَاعَةِ فِيهِ، فَأُمِرُوا بِذَلِكَ؛ لِيَتَيَسَّرَ لِأَهْلِ كُلِّ مَحَلَّةٍ الْعِبَادَةُ فِي مَسْجِدِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ تَلْحَقُهُمْ[1].

وفي أَمْرِهِ ﷺ ببناءِ المساجِدِ سِرٌّ عظيمٌ، وهُوَ أَنَّهُ حيث وُجِدَ المسجدُ؛ وُجِدَ الخيرُ والصلاحُ؛ فالمساجِدُ مناراتُ الأرضِ؛ والحَيُّ الذِي تُنَارُ فيه المساجِدُ؛ تُنارُ فيه قلوبُ أهلِهِ بِنُورِ الهدايَةِ والصلاحِ، وقَدْ وَجَدْنا هذا كثيرًا، وجَدْنَا أحياءَ كانَتْ مَوبُوءَةً بالمعاصِي، مُشْتَهَرٌ أهلُها بالفُجُورِ؛ فلمَّا بُنِيَتْ لَهُمُ المساجِدُ؛ تَغَيَّرَتْ أحوالُهُمْ، وانقلبَ الشَّرُّ خيرًا، وأصبحَ رُؤُوسُ الفَسادِ فِي البَلَدِ رُؤُوسًا للخيرِ؛ ومَا علَىٰ المُصْلحينَ مِنْ دُعاةِ المُسْلمينَ -إنْ أرادُوا أنْ يُصْلِحُوا بلدًا- إلَّا أنْ يُكْثِرُوا فيهِ المساجِدَ، ويُقيمُوا فيها الدُّعاةَ الصادِقينَ، وعلىٰ الدَّوْلَةِ المُسْلِمَةِ التِي تَنْشُدُ صَلاحَ مُجْتَمَعِهَا أنْ تَبْنِيَ فِي كُلِّ حَيٍّ ومَحِلَّةٍ وقَبِيلَةٍ ومُنْشَأَةٍ ووزَارَةٍ وجامِعَةٍ ومدرسَةٍ ومَشْفىً... مَسْجِدًا، وتُعَمِّرَهُ بالدُّعاةِ المُصْلِحينَ الصَّادِقينَ، كمَا تُوَفِّرُ لهُمْ أسبابَ الحياةِ التِي لابُدَّ لَهُمْ مِنْهَا: مِنْ طَعَامٍ وشَرابٍ وتَعْلِيمٍ وعِلاجٍ وكَهْرُباءٍ؛ فَحينَها سَيكونُ الصَّلاحُ السَّرِيعُ؛ بإذن الله تعالىٰ.

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 603.

والمُرادُ بالدُّورِ هُنَا، التِي لا يوجدُ فيها مَساجِدُ، أمَّا إذا وُجِدَ مساجِدُ قريبةٌ؛ فلَا تُبْنَىٰ مساجَدُ جديدةٌ، قَالَ الْبَغَوِيُّ: قَالَ عَطَاءٌ: «لَمَّا فَتَحَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْأَمْصَارَ، أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَبْنُوا مَسْجِدَيْنِ يُضَارُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، وَمِنَ الْمَضَارَّةِ فِعْلُ تَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَسْجِدٌ يَسَعُهُمْ، فَإِنْ ضَاقَ سُنَّ تَوْسِعَتُهُ أَوِ اتِّخَاذُ مَسْجِدٍ يَسَعُهُمْ»[1].

ومِنْ تعظيمِ المَساجِدِ مِمَّا جاءَ فِي الحديثِ تَنْظِيفُهَا وتَعْطِيرُها، وتَعَاهُدُهَا بحيثُ تَبْقَىٰ مُنَزَّهَةً عَنِ الأوساخِ والأَقْذَارِ وسائِرِ مَا يُشِينُها؛ فإنَّ فِي ذَلِكَ تعظيمٌ لَهَا، وتَشْجيعٌ للنَّاسِ للوفودِ إِلَيْها؛ إِذْ لَوْ كانَتْ علَىٰ خِلافِ النَّظَافَةِ؛ لَنَفَرَ منها النَّاسُ إِلَىٰ غَيْرِها؛ فَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ يُجَمِّرُ الْمَسْجِدَ إِذَا قَعَدَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُ السَّلَفِ تطييبَ الْمَسْجِدِ بِالزَّعْفَرَانِ[2] وَالطِّيبِ، وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِعْلُهُ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ سُنَّةٌ، وَأَخرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا بَنَىٰ الْكَعْبَةَ طَلَىٰ حِيطَانَهَا بِالْمِسْكِ، وَأَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَيْضًا كَنْسُ

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 604.

(2) الزَّعْفَران: صِبْغٌ وهو من الطِّيبِ، انظر: معجم العين، للخليل: 2/ 333.



الْمَسْجِدِ وَتَنْظِيفُهُ، وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَنَّهُ عليه السلام «كَانَ يَتَتَبَّعُ غُبَارَ الْمَسْجِدِ بِجَرِيدَةٍ»[1].

## ثلاثون: تَعْظِيمُ شَأْنِ مَنْ يُنَظِّفُ المساجدَ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يُعَظِّمُ شَأْنَ مَنْ يُعَظِّمُ بيوتَ اللهِ تَعالَىٰ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، «أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ، أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ، كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ[2]، فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ؛ قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ[3]، دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ، أَوْ قَالَ: قَبْرِهَا، فَأَتَىٰ قَبْرَهَا؛ فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا»[4]. وَفِي رِوَايَةٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، «أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا- فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ- فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي. قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ- فَقَالَ: دُلُّونِي

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 2/ 306.

(2) يَقُمُّ: مِنَ الْقُمَامَةِ، أَيْ: يَكْنِسُهُ وَيُطَهِّرُهُ.

(3) آذَنْتُمُونِي، أَيْ: أَخْبَرْتُمُونِي وَأَعْلَمْتُمُونِي بِمَوْتِهِ لِأُصَلِّيَ عَلَيْهِ.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 99، رقم: (458).

عَلَىٰ قَبْرِهِ. فَدَلُّوهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا»[1]. وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ امْرَأَةً[2] كَانَتْ تَلْتَقِطُ الْخِرَقَ[3] وَالْعِيدَانَ مِنَ الْمَسْجِدِ»[4].

عَظِيمٌ هُوَ قَدْرُ المساجِدِ؛ عظيمٌ قَدْرُ مَنْ يُعَظِّمُ قَدْرَها؛ فَإِنَّ المُتَدَبِّرَ هذا الحديثِ، ومَا فيهِ مِنِ اعتناءِ النَّبِيِّ ﷺ بشأنِ المرأةِ السَّوداءِ، وهِيَ التِي لا قِيمةَ لَهَا ولا قدرَ عِنْدَ آحادِ الناسِ، فَهُوَ يسألُ عَنْها، ويعاتِبُهُمْ أَنَّهُمْ لمْ يُخْبِروهُ بموتِها؛ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، ثُمَّ يذهبُ، ويُصلِّي علَىٰ قَبْرِهَا؛ يَجِدُ فيهِ تعظيمَ رسولِ اللهِ ﷺ بيوتَ اللهِ تعالَىٰ، وتعظيمَ مَنْ يُعَظِّمُها؛ ولَوْ بِعَمَلٍ قليلٍ كَقَمِّهِ وتَنْظيفِهِ.

---

(1) أخرجه مسلم: 2/ 659.

(2) ورد تعيين اسم المرأة فيما قال الزرقاني: «ولِلْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ: أَنَّ أُمَّ مِحْجَنٍ كَانَتْ مُولَعَةً بِلَقْطِ الْقَذَىٰ مِنَ الْمَسْجِدِ».

(3) الخِرَقُ: جَمْعُ خِرْقَةٍ، والخِرْقَةُ: مِنَ الثَّوْبِ، أَيْ: قِطْعَة مِنْهُ، والمعنىٰ: كانت تلتقط قطع القماش، والعيدان من المسجد.

(4) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: 2/ 272، رقم: (1300)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ: 2/ 617، رقم: (4311)، وَحَسَّنَهُ الألباني.



وفِي الحديثِ بيانُ فَضلِ تنظيفِ المساجدِ، وبَرَكَةُ كِناسَتِها، وعَظَمةُ هَذا العملِ المُبَارَكِ؛ إذْ إنَّ عظمتَهُ مِنْ عَظَمَةِ بيوتِ اللهِ تعالَىٰ؛ فَتَنْظيفُ المساجدِ تَعْظيمٌ لها، وتَعْظيمُها تعظيمٌ للهِ تعالىٰ. فَهَذِهِ امرأةٌ لا وزنَ لَها عندَ الناسِ، ولمَّا كانَ مِنْ عملِها أنها كانتْ مُولَعَةً بِكَنْسِ المساجِدِ وتَنْظيفِها، حتَّىٰ إنَّها لتُنَظِّفُهَا مِنَ القذىٰ، وَهُوَ الوَسَخُ القليلُ الذِي لا يُعْتَبَرُ عندَ أكثرِ الناسِ؛ تَفَقَّدَها النبيُّ ﷺ وأَعْلَىٰ شَأْنَها.

وفيه أنه ينبغِي التَّأسِّي بهذِهِ المرأةِ، وتنظيفُ بيوتِ اللهِ تعالَىٰ حِسْبَةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأنْ يكونَ هذا شأنَ كلِّ مُصَلٍّ مُعَظِّمٍ لبيوتِ اللهِ تعالَىٰ، وألَّا يكونَ تَنْظيفُها مَخْصوصًا بالعُمَّال المُعَيَّنِينَ منَ الدولةِ، فالعُمَّالُ لَهُمْ أجورُهُمْ مِنَ الدولةِ، ومَنْ يَقُمُّ المسجدَ حِسْبَةً؛ لَهُ أجرُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولو تَعَهَّد المُصَلُّونَ مساجدَهُمْ، ونَظَّفُوها مِنْ كلِّ ما يَقْذُرُوهَا، ولو بِقَدْرِ القَذاةِ التِي فِي العَيْنِ، أو القَشَّةِ التي فِي الشَّرابِ، أوِ الغَبَرَةِ التِي تَعْلُو الأشياءَ؛ لكانَ لِنَظافَةِ المساجِدِ شأنٌ غيرُ الذي يُرَىٰ فِي أكثرِ مساجِدِ المُسْلِمينَ.

وفيه حبُّ مَنْ يُحِبُّ المَساجِدَ ويُعَظِّمُها؛ فكلُّ مَنْ يَفْعَلُ فِي المسجِدِ عَمَلًا يُشَرِّفُها؛ ويُعْلِي شأنَها مِنْ كِناسَةٍ أو بِناءٍ أو إنارَةٍ، أو تَعْطيرٍ وتَطْييبٍ؛ أو عَمَارَةٍ بصلاةٍ أو تَعْليمٍ أو تلاوةٍ أو ذِكْرٍ؛ فينبغِي أن يُحَبَّ ويُوَقَّرَ، ويُعْلَىٰ شَأْنُهُ.







# الفَصْلُ الثَّانِي

## تَعْظِيمُ خَطَرِ التَّخَلُّف عَنِ الصَّلاة فِي بيوتِ الله ﷻ، وخُذْلانُ أَهْلِهَا

إِنَّهُ كمَا جاءَ الوَعْدُ العَظِيمُ مِنَ اللهِ تعالَىٰ علَىٰ لسانِ رسولِهِ ﷺ بِعَظِيمِ شَرَفِ الصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ، وعظيمِ فضلِ أهلِها ما لَمْ يأتِ فِي غيرِهَا؛ فلَقَدْ جاءَ الوَعِيدُ الشَّديدُ كَذَلِكَ لِمَنْ يعتادُ التَّخَلُّفَ عَنْهَا ما لَمْ يأتِ الوعيدُ علَىٰ غيرِهَا؛ ومِنْ هنا يُعْلَمُ كمالُ عظمَةِ بيوتِ اللهِ ﷻ؛ فإنَّ كمالَ التَّعظيمِ ينتظِمُ أَمْرَيْنِ: تعظيمَ الشَّعِيرَةِ؛ بإتيانِهَا علَىٰ الوجْهِ المطلوبِ، وتعظيمَ حُرْمَتِهَا؛ بِتَرْكِ التَّقْصِيرِ فِيها؛ وقَدِ اجْتَمَعَ الأمرانِ فِي الصلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالَىٰ، وهذِهِ طائِفَةٌ مِنَ النُّصُوصِ التِي تحمِلُ شديدَ الوَعِيدِ فِي حَقِّ مَنْ قَصَّرَ فِيها، ورَغِبَ عَنْهَا:

### ۞ أَوَّلًا: التَّخَلُّفُ عَنِ الصَّلاةِ فِي المساجِدِ أَمَارَةُ نِفَاقٍ

إِنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنْ يَتَخَلَّف عَنِ الصَّلاةِ عَنْهَا بِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ؛ واقِعٌ تحتَ وعيدِ النِّفاقِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ

الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ؛ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ؛ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؛ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ[1] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[2].

فَكَمَا أَنَّ الصلاةَ فِي بيوتِ اللهِ تعالَىٰ مِنْ أرجَىٰ مَا للعبْدِ عِنْدَ اللهِ ﷻ؛ إِذْ هيَ مِنْ كرامَةِ اللهِ تعالىٰ وتوفيقِهِ للعبْدِ، فَإِنَّ التَّخَلُّفَ عنها نذيرُ شُؤْمٍ وبُؤْسٍ وخُذلانٍ؛ ذلِكَ أنَّ المُتَخَلِّفَ عَنِ الصلَّاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ مُتَّهَمٌ بالنِّفَاقِ، والعياذُ باللهِ تَعَالَىٰ؛ وَلِأَجْلِ هَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَفَقَّدُ المُسْلِمِينَ فِي المَسَاجِدِ، فَمَنْ فقدَهُ مِنْهُمْ؛ عدَّهُ فِي المُنَافِقِينَ؛ فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ، فَقَالَ: «أَشَاهِدٌ فُلَانٌ، قَالُوا: لَا، قَالَ: أَشَاهِدٌ فُلَانٌ، قَالُوا: لَا، قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ

---

(1) يُهَادَىٰ بَين رجلَيْنِ، أَي: يمشي بَينهمَا مُتكئًا عَلَيْهِمَا يتمايل إِلَيْهِمَا.

(2) أخرجه مسلم: 1/ 453، رقم: (654).



عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا؛ لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَىٰ الرُّكَبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَىٰ مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ؛ لَابْتَدَرْتُمُوهُ[1]، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَىٰ[2] مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ»[3].

ولقَدْ كانَ الصَّدْرُ الأَوَّلُ يُسِيئُونَ الظَنَّ بِمَنْ يُفْتَقَدُ فِي المَسَاجِدِ عِنْدَ الصَّلَواتِ؛ قال ابنُ عُمَرَ: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلَاةِ العِشَاءِ والصُّبْحِ أَسأْنَا بِهِ الظَّنَّ»[4]، وقالَ عُمَرُ ﷺ: «لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً»[5].

---

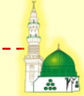
(1) لَابْتَدَرْتُمُوهُ، أَيْ: سَبقْتُمْ إِلَيْهِ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 3/ 838.

(2) أَزْكَىٰ: أَفْضَلُ أَكْثَرُ ثَوَابًا، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري: 3/ 838.

(3) أخرجه أبو داود: 1/ 151، رقم: (554)، وحَسَّنَهُ الألباني.

(4) معجم ابن الأعرابي: 2/ 558، رقم: (1092).

(5) موطأ مالك: 2/ 180، رقم: (432).



فَمَنْ تَدَبَّرَ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا، وَرَأَىٰ تَشْدِيدَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ الصَّلَاةِ فِي المَسَاجِدِ، واتِّهَامَهُ المُتَخَلِّفِينَ بالنِّفَاقِ؛ عَلِمَ عَظَمَةَ قَدْرِهَا، وأَهَمِّيَّةَ أَمْرِهَا، وخَطَرَ التَّخَلُّفِ عَنْهَا.

## ۞ ثَانِيًا: اسْتِحْواذُ الشَّيْطانِ عَلَى تَارِكِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ التَّخَلُّفَ عنِ صَلاةِ الجَمَاعَةِ فِيها سَبَبٌ فِي اسْتِحْوَاذِ الشَّيْطانِ وَسَيْطَرَتِهِ عَلَىٰ العَبْدِ؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ، إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ[1] عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»، قَالَ زَائِدَةُ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ: الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ[2].

فِي اسْتِحْواذِ الشَّيَاطِينِ علَىٰ المُتَخَلِّفِ عَنْ صلاةِ الجماعَةِ وعيدُ شَرٍّ؛ فإنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا اسْتَحْوَذَ علَىٰ عَبْدٍ، أَيْ: سَيْطَرَ عليهِ، وتَمَلَّكَ زِمَامَهُ؛

---

(1) اسْتَحْوَذَ: سَيْطَرَ وَغَلَبَ واسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِمْ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 1/ 457.

(2) أخرجه أبو داود في سننه: 1/ 150، رقم: (547)، والنسائي في سننه: 2/ 106، رقم: (847)، وحَسَّنَهُ الألباني.

صَرَفَهُ عَنْ كُلِّ خيرٍ؛ وقادَهُ إِلَىٰ كُلِّ شَرٍّ؛ فَلا يزالُ يَتَتَبَّعُ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ التِي نَـهَىٰ اللهُ تَعالَىٰ عَنْهَا بقولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]؛ حَتَّىٰ يُورِدَهُ مَوارِدَ الهَالِكِينَ؛ ويَصْرِفَهُ عَنْ منازِلِ المُفْلِحِينَ.

وَفِي الحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ سَبَبٍ مِنْ أسبابِ التَّشْديدِ فِي شأنِ الصَّلاةِ فِي جماعَةِ المُسْلِمِينَ، وَهُوَ أَنَّ الصَّلاةَ فِي الجماعَةِ عِصْمَةٌ للمُسْلِمِ مِنَ الضَّلالِ، وحِفْظٌ لَهُ مِنَ الفِتَنِ، فإِنَّ المرءَ محفوظٌ ما دامَ فِي جماعَةِ المُسلمينَ؛ فإِذَا ما وَرَدَتْهُ وَساوِسُ الشياطينِ، وحاكَتْ فِي صدرِهِ شُبَهُهَا؛ لَجَأَ إِلَىٰ إخوانِهِ المُصَلِّينَ؛ فالتَمَسُوا لَهُ مِنْ أهلِ العِلْمِ مَنْ يُزِيلُ شُبَهَ الشياطِينِ، ويدفَعُ وَسَاوِسَهَا؛ فَيَسْلَمُ بِذَا مِنَ استحواذِ الشَّياطِينِ، أَمَّا مَنْ بَقِيَ وحدَهُ، وصَلَّىٰ فِي بيتِهِ؛ أَجْلَبَتْ[2] عليهِ الشَّياطينُ بوساوِسِهَا؛ فَلَمْ

---

(1) النور: 21.

(2) أَجْلَبَت، أي: صاحت عليهم، واسْتَنْفَرَتْ مَنْ شاءتَ مِنْ رُكْبَانِ جُنْدِها وَمُشَاتِهِمْ، وجمعت لهم مكايدها وحبائلَها وَأَصْلُ الإِجْلَابِ: السَّوْقُ بِجَلَبَةٍ، والجلبةُ الصِّيَاحُ، وهو إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64].

يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ عَلَيْهِ، ويَنْصُرُهُ؛ فيسْتَحْوذُ عَلَيْهِ الشَّيْطانُ؛ يأْخُذُ بِزِمَامِهِ إِلَىٰ كُلِّ سُوءٍ، وَيصْرِفُ عَنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، فَلَا يُبَالِي حينها فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيا هَلَكَ.

## ۞ ثَالثًا: هَمُّ النَّبِيِّ ﷺ بحَرْقِ الذِينَ يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ بِغَيْرِ عُذْرٍ

وإنَّ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ المَسَاجِدِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ هَمَّ بحَرْقِ الذِينَ يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ، وَيَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ جَمَاعَةً فِي المَسَاجِدِ لِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَىٰ رِجَالٍ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا[1] سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ[2] حَسَنَتَيْنِ؛ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»[3].

---

(1) عَرْقًا: هُوَ الْعَظْمُ الَّذِي أُخِذَ عَنهُ اللَّحْمُ.

(2) مِرْمَاتَيْنِ: هِيَ مَا بَين ظِلْفَيِ الشَّاةِ من اللَّحْمِ، ومَعْنَىٰ الظِلْفُ: الظُّفْرُ.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 131، رقم: (644).



المُتَدِّبرُ مَا وراءَ ألفاظِ الحديثِ مِنْ مَعانٍ؛ يُدْرِكُ خَطَرَ التَّهاونَ فِي جماعَةِ المسلمينَ فِي المسجِدِ؛ فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ الذِي وصفَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ بقولِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، ثم هو علىٰ رأفته ورحمته يَهِمُّ بإحراق بيوتهم عليهم؛ ما هذا إلا لخطر التَّخَلُّفِ عَنِ الصلاةِ في المسجدِ، وعظيم شَأْنِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثم إنَّ النبيَّ ﷺ يَرُدُّ كُلَّ عذرٍ يَعتذرُ به الكُسالىٰ والبَطَّالُونَ؛ بِمَثَلِهِ الذي ضَرَبَهُ في الحديث: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ؛ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»، أَيْ: لَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ حَضَرَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ؛ لَوَجَدَ نَفْعًا دُنْيَوِيًّا وَإِنْ كَانَ خَسِيسًا حَقِيرًا؛ لَحَضَرَها لقُصُورِ هِمَّتِهِ، وَلَا يَحْضُرُها لِمَا لَهَا مِنَ الأُجُورِ والمَثُوبَاتِ.

فَكَيْفَ بِعَبْدٍ يُحِبُّ اللهَ تَعَالَىٰ، وَرَسُولَهُ ﷺ يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاةِ فِي بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ يَسْمَعُ وَعِيدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَرْقِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ؟! تَخَيَّلْ نَفْسَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَهُمُّ بِحَرْقِكَ، كَيْفَ تَجِدُ شُعُورَكَ؟!

---

(1) التوبة: 128.

## رَابِعًا: عَدَمُ الإِذْنِ لِأَعْمَى لَا قَائِدَ لَهُ بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي المَسْجِدِ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ أَمْرِ الصَّلَاةِ فِي بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْذَنْ لِأَعْمَىٰ لَا قَائِدَ لَهُ، بَعِيدِ المَنْزِلِ عَنِ المَسْجِدِ، وطَرِيقُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَخَاوِفِ؛ بِالصَّلَاةِ فِي بَيْتِهِ، والتَّخَلُّفِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي المَسَاجِدِ؛ فعَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ[1]، ولِي قَائِدٌ لَا يُلَائِمُنِي، فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي؟ قَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»[2].

(1) شَاسِعُ الدَّارِ، أي: بَعِيدُهَا عَنِ المَسْجِدِ، حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه: 1/ 265.

(2) أخرجه أبو داود: 1/ 151، رقم: (552)، وصَحَّحَهُ الألباني.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ﵁: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ نَخْلًا، وَشَجَرًا، وَلَا أَقْدِرُ عَلَىٰ قَائِدٍ كُلَّ سَاعَةٍ، أَيَسَعُنِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي؟ قَالَ: «أَتَسْمَعُ الْإِقَامَةَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأْتِهَا»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ: إِنَّ الْمَدِينَةَ أَرْضُ هَوَامٍّ[2] وسِبَاعٍ، فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي بَيْتِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَسْمَعُ حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ؟»، قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَحَيْهَلَا[3]»[4].

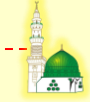
---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، حديث عمر بن مكتوم: 24/ 245، رقم: (15491)، وصَحَّحَهُ شعيب الأرنؤوط.

(2) هَوَامٌّ: جَمْعُ هامَّةٍ، وفِي الهَامَّةِ قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنَّهَا كل نَسْمَةٍ تَهِمُّ بِسوءٍ، وَالثَّانِي: الْحَيَّاتُ وكُلُّ ذِي سُمٍّ يَقْتُلُ، ولَعَلَّهُ المَقْصُودُ هُنَا فِي الحَدِيثِ، فَأَما مَاله سُمٌّ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ فَهِيَ السَّوَامُّ، كَالزُّنْبُورِ، وَأما مَا يُؤْذِي وَلَيْسَ بِذِي سُمٍّ كالفَأْرِ واليَرْبُوعِ فَهِيَ القَوَامُّ. وَقَدْ تَقَعَ الهَامَّةُ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَدُبُّ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَمِنْه قَوْله: ﷺ لِكَعْبِ بنِ عُجْرَةَ: «أَيُؤْذِيك هوَام رَأسك؟» يَعْنِي الْقمل.

(3) فَحَيْهَلَا: كَلِمَةُ حَثٍّ وَاسْتِعْجَالٍ، بِمَعْنَىٰ: أَجِبْ، فَهِيَ كَلِمَةُ اسْتِدْعَاءٍ فِيهَا حَثٌّ، أَيْ: هَلُمُّوا مُسْرِعِينَ.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 1/ 303، رقم: (3473).





وَفِي عدمِ إذنِ النَّبِيِّ ﷺ للأَعْمَىٰ الذِي لا قائِدَ لَهُ، علَىٰ بُعْدِ مَنْزِلِهِ، وطولِ طريقِهِ، وخَطَرِهَا دليلٌ علَىٰ مَا للمساجِدِ مِنْ شَأْنٍ جليلٍ، وللتَّخَلُّفِ عنها مِنْ خطرٍ عظيمٍ، فَلَوْ أَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لأحدٍ أَنْ يُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ؛ لَأَذِنَ لِهَذَا الأَعْمَىٰ بِهَذِهِ الحَالِ بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي المَسَاجِدِ.

وَلَا تَأْخُذْكَ الرَّحْمَةُ بِهَذَا فِي هَذَا المَوْطِنِ؛ فَلَسْتَ أَرْحَمَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ إِصْرَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ عَدَمِ الإِذْنِ لَهُ؛ إِنَّما هُوَ رَحْمَةٌ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الأَعْمَىٰ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الخُرُوجِ للمُهِمَّاتِ عَمَاهُ؛ فَلَوْ قِيلَ لِأَعْمَىٰ: لَكَ عَطِيَّةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَقْصَىٰ الأَرْضِ؛ لَسَعَىٰ إِلَيْهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَلَمَا تَأَخَّرَ عَنْ حَاجَتِهِ تِلْكَ؛ ولَلَّهِ لَعَطِيَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ فِي المَسَاجِدِ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ كُلِّ رَغَائِبِ الدُّنْيا. وَهَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ﷺ بَعْدَ هَذَا يُصْبِحُ مُؤَذِّنًا لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَأَيُّ رَحْمَةٍ أَصَابَتْهُ، وأَيُّ فَضْلٍ، وَأَيُّ خَيْرٍ، يُمْكِنُ أَنْ يُساقَ لَهُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا؟!



## خَامِسًا: التَّأَخُّرُ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ في المسجِدِ؛ تَأَخُّرٌ فِي الآخِرَةِ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ أَمْرِ الصَّلَاةِ فِي بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ اهتمامَ النَّبِيِّ ﷺ ذهبَ بِشَأْنِ الصلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تَعالَىٰ مَذهبًا عظيمًا؛ ذَلِكَ أَنَّهُ أخبرَ أنَّ اعْتِيادَ التَّأَخُّرِ عَنِ الصفِّ الأولِ فِي المسجِدِ تَأَخُّرٌ عَنِ الجَنَّةِ فِي النَّارِ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ فِي النَّارِ»(1).

ولَقَدْ تَعَدَّدَتْ أقوالُ العُلَماءِ فِي معنَىٰ قولِهِ ﷺ: (حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ فِي النَّارِ)، قالَ بَدْرُ الدِّينِ العَيْنَيُّ: «أَيْ: يُوقِعُهُمْ في النار، وهَذَا تغليظٌ فِي حقِّ مَنْ يَتَكاسَلُ عَنِ المُبادَرَةِ إِلَىٰ الصَّفِّ الأَوَّلِ، ويَجيءُ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ، وتَعَوَّدَ ذَلِكَ»(2).

وقال الآبادِيُّ: «يَعْنِي: لَا يُخرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ فِي الْأَوَّلِينَ، أَوْ أَخَّرَهُمْ عَنِ الدَّاخِلِينَ فِي الْجَنَّةِ أَوَّلًا؛ بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ، وَحَبْسِهِمْ فِيهَا»(3).

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه: 1/ 181، رقم: (679)، وصَحَّحَهُ الألباني.

(2) شرح سنن أبي داود، لبدر الدين العيني: 3/ 233.

(3) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للآبادي: 2/ 264.





أَلَا فَلْيَقِفِ المسلمونَ عندَ هذا الحديثِ طويلًا، وليتأمَّلُوهُ مَلِيًّا؛ فاعتيادُ التَّأَخُّرِ عنِ الصفِّ الأوَّلِ؛ أَمْرُهُ عظيمٌ، وخَطَرُه جسيمٌ؛ فإنَّ مَنْ تَعَوَّدَ التَّأَخُّرَ عن الصفِّ الأَوَّلِ؛ فهُوَ واقعٌ تَحْتَ سَوْطِ الوَعِيدِ والتَّهْديدِ: وعيدِ التَّأْخيرِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

أَمَّا فِي الدُّنْيَا: فإنَّ اللهَ تعالَىٰ يُؤَخِّرُهُ فيها؛ فيُسْقِطُ هَيْبَتَهُ ومَحَبَّتَهُ مِنْ قُلُوبِ الخَلْقِ، ويُؤَخِرُ مَوَدَّتَهُ فِي نُفُوسِهِمْ؛ فلا يَجِدُ مِنَ الخَلْقِ إلا الجَفْوةَ والإبعادَ.

وأَمَّا فِي الآخرة: فيُؤَخِّرُهُ فِي النَّارِ إذا اسْتَحَقَّهَا ودَخَلَها؛ فَيُحْبَسُ فيها، ويكونُ مُتَأَخِّرَ الخُرُوجِ مِنْهَا. كما يُؤَخَّرُ عَنْ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ إذْ يَسْبِقُهُ إليها السَّابِقُونَ إِلَىٰ الصَّفِّ الأوَّلِ؛ فإذا دَخَلَها؛ فَلا يَبْلُغُ رَفيعَ مَنازِلِها، ولا ينالُ منازِلَ القُرْب مِنَ اللهِ تَعالىٰ؛ جَزَاءً وِفَاقًا. واللهُ تعالىٰ أَعْلَمُ.

كُلُّ هذَا فِي حَقِّ مَنْ يتعوَّدُ التَّأَخُّرَ عَنِ الصَّفِّ الأوَّلِ فِي صَلاةِ الجَمَاعَةِ مِنَ المَسْجِدِ رَغْبَةً عَنْهُ، وزَهَادَةً فيهِ؛ فكيفَ بِمَنْ يتعوَّدُ التَّخَلُّفَ عَنْ صلاةِ الجماعَةِ في المَسْجِدِ بالكُلِّيَّةِ؟! لا شكَّ أنَّ الخَطَرَ أعظمُ، ولا ريبَ أنَّ الوعيدَ أَشَدُّ!



أَلَا فالحَذَرَ، الحَذَرَ مِنَ التَّخَلُّفِ عَنْهَا، والمُبَادَرَةَ، المُبَادَرَةَ لِلُزُومِ الصفِّ الأَوَّلِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، وعَلَىٰ التَّأَخُّرِ عَنْهَا فلْيَبْكِ البَاكُونَ، وليَسْتَدْرِكِ الغَافِلُونَ قَبْلَ وُقُوعِ الوعِيدِ؛ فالمُسارَعَةَ، المُسَارَعَةَ؛ والمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تعالىٰ، والمحرومُ مَنْ حُرِمَ.

## سَادِسًا: تَرْكُ الجُمَعِ فِي المساجِدِ وعيدٌ بالطَّبْعِ على القَلْبِ

وإِنَّ مِنْ عَظِيمِ أَمْرِ الصَّلَاةِ فِي بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّ مَنِ اعْتَادَ تَرْكَ الجُمَعِ فِي المَساجِدِ واقِعٌ تَحْتَ الوعيدِ بالطَّبْعِ علىٰ قلبِهِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﵄، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ عَلَىٰ أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ[1] الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ[2] اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[3].

فِي هَذا الحديثِ مَا فيهِ مِنْ تهديدٍ وَوَعيدٍ لِمَنِ اعتادَ هَجْرَ المَسَاجِدِ فِي الجُمُعاتِ؛ فَهُوَ مُهَدَّدٌ بأَنْ يُطبَعَ علَىٰ قلبِهِ، ويُختَمَ عليهِ؛ فلا يَنْتَفِعُ بِخَيْرٍ

---

(1) وَدْعُهُم: تَرْكُهُم وهَجْرُهُمْ.

(2) لَيَخْتِمَنَّ: الخَتْمُ: الطَّبْعُ والتَّغْطِيَةُ.

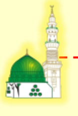
(3) أخرجه مسلم: 2/ 591، رقم: (865).

بعدَها؛ فَيُصْبِحُ وقَدِ انْتَكَسَتْ حالُهُ؛ فَلا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكرًا، ثُمَّ يكونُ مِنَ الغافِلينَ، الذينَ انْحَدَرُوا بِغَفْلَتِهِمْ مِنْ رُتْبَةِ الإنسانِيَّةِ السَّامِيَّةِ إِلَىٰ رُتْبَةِ البَهِيمِيَّةِ السَّائِمَةِ، فَلا تُفَكِّرُ، ولا تُبْصِرُ، ولا تسمعُ إِلَّا لِطَعَامِهَا وشَهَواتِهَا، وذلك قولُهُ تعالىٰ: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[1].

فَهَلْ بعدَ هذا التَّهْديدِ مِنْ تهديدٍ؟! وهَلْ بعدَ هذا الوَعِيدِ مِنْ وعيدٍ؛ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أو أَلقَىٰ السَّمْعَ، وهُوَ شَهِيدٌ؟!



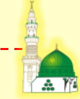
(1) الأعراف: 179.



# الفَصْلُ الثَّالِثُ

## عَظِيمُ قَدْرِ المَساجِدِ فِي قُلُوبِ الصَّالِحِينَ

لَمَّا عَلِمَ الصَّالحونَ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ عظيمَ قَدْرِ المساجِدِ، وجليلَ شَرَفِها عندَ اللهِ تعالىٰ؛ عَظُمَتْ بيوتُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قلوبِهِمْ، وجَلَّتْ فِي نفوسِهِمْ؛ وذلكَ أنَّ مُرادَ اللهِ تَعالَىٰ مُرادُهم، ومَحبوبَهُ مَحبُوبُهُمْ، والعَظيمَ عندَهُ عظيمٌ عندَهُمْ؛ فإنَّ العبدَ لا يبلُغُ حقيقةَ محبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ حتَّىٰ يُوافِقَ اللهَ تعالَىٰ فيما يُحِبُّ، وفيما يَكْرَهُ؛ فَلَيْسَ لأحبابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نفوسِهِمْ وقلوبِهِمْ حاجةٌ؛ إلَّا حَاجةً تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللهِ تَعالىٰ زُلْفَىٰ، وتُرَضِّيهِ عَنْهُمْ، وتُحَبِّبُهُ فيهِمْ؛ ولمَّا عَلِمُوا ما للصَّلاةِ فِي بيوتِهِ مِنْ فضلٍ وشرفٍ، ومَا للمُحافِظِ عليها مِنْ كرامَةٍ ومنزِلَةٍ، وعَلِمُوا مَا للتَّخَلُّفِ عَنْها مِنْ شُؤْمٍ وخُسْرانٍ؛ كانُوا رضوانَ اللهِ تعالَىٰ عليهِمْ أَحْرَصَ مَا يكونونَ علَىٰ التَّبْكيرِ إليها، وعمارتِهَا، ومُلازَمَتِهَا، وتَوَطُّنِهَا؛ طَمَعًا فِي نيلِ موعودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِها، قالَ الْأَوْزَاعِيُّ، سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي سَوْدَةَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ





تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1] قَالَ: «أَوَّلُهُمْ رَوَاحًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَأَوَّلُهُمْ خُرُوجًا فِي سَبِيلِ اللهِ»[2]، وهَذِهِ طَائِفَةٌ مِنْ أخبارِ أهلِ المَساجِدِ، العارِفِينَ حَقَّهَا، المُعَظِّمِينَ قَدْرَهَا، المُبَادِرِينَ إِلَيْهَا:

## أَوَّلًا: رسولُ اللهِ ﷺ أكثرُ مَنْ عَظَّمَ قَدْرَ المَساجِدِ

لا ريبَ أنَّ إمامَ الصَّالحينَ وسَيِّدَهُمْ ﷺ أكثرُ مَنْ عظَّمَ قَدْرَ المساجِدِ، وأحرصُ مَنْ سَعَىٰ إليها، فَإِنَّ تعظيمَ الشعائِرِ والحُرُماتِ بقدرِ المَعْرِفَةِ بعظمَةِ المُعَظَّمِ؛ ولمَّا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أعرفَ النَّاسِ بعظمةِ ربِّهِ عَزَّوَجَلَّ، وبعظمَةِ شعائِرِهِ وحرماتِهِ؛ كانَ أكثرَ خلقِ اللهِ تعالَىٰ تعظيمًا لَهَا؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ حالِهِ مَعَ المَسْجِدِ فِي مرضِ موتِهِ الخبرُ العظيمُ؛ فعَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهَا، فَذَكَرْنَا المُوَاظَبَةَ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَأُذِّنَ فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[3] إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ،

---

(1) الواقعة: 12.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 6/ 109.

(3) أَسِيفٌ: حَزِينٌ، سَرِيعُ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ.

وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ[1] مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّىٰ فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَىٰ[2] بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ[3]، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ[4] النَّبِيُّ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِهِ. قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: بِرَأْسِهِ نَعَمْ[5].

وفي روايةٍ: عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عَنْهَا؛ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَقَالَ: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ

---

(1) صَوَاحِبُ يُوسُفَ، أَيْ: تُشْبِهْنَ النِّسْوَةَ اللاتِي فِي زَمَانِ يُوسُفَ عليه السلام فِي التَّظَاهُرِ عَلَىٰ مَا تُرِدْنَ وَكَثْرَةِ إِلْحَاحِكُنَّ فِي طَلَبِ مَا تُرِدْنَهُ وَتَمِلْنَ إِلَيْهِ.

(2) يُهَادَىٰ بَين رجلَيْنِ، أَي: يمشي بَينهمَا مُتكئا عَلَيْهِمَا يتمايل إِلَيْهِمَا.

(3) تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ رَفْعِهِمَا مِنَ الأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الوَجَعِ؛ فَكَانَ يَجُرُّهُمَا جَرًّا.

(4) فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ، أي: أشار إليه.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 133، رقم: (664).

يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ[1]». قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ[2]؛ فَأُغْمِي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ» قَالَتْ: فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ؛ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ»، فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ؛ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟» فَقُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ[3] فِي المَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا-: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا العَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا

---

(1) المِخْضَبِ: إناءٌ مِنْ خَشَبٍ أو حَجَرٍ؛ يُغْسَلُ فِيهِ.

(2) لِيَنُوءَ، أي: ليقوم ويَنْهَضَ للصلاة في المسجد.

(3) عُكُوفٌ، أي: مجتمعون في المسجد، ملازمون له.

رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَىٰ جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَىٰ جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ»[1].

إنَّ المُتَأَمِّلَ الحَديثَ بِرِوَايَتَيْهِ؛ يَجِدُ مِنْ عظيمِ حرصِ النَّبِيِّ ﷺ علىٰ الصَّلاةِ فِي المسجدِ مَا لَمْ يسبِقْهُ إليهِ أحدٌ؛ فهوَ فِي مرضِ موتِهِ، والأَلَمُ يشتدُّ عليهِ جِدًّا؛ حتَّىٰ إنَّهُ مِنْ شِدَّتِهِ كانَ يَجِدُ مِنَ الألمِ مَا يَجِدُ الرَّجُلانِ[2]، ولا يَسْأَلُ -وحالتُهُ هذِهِ- إلَّا عَنِ الصلاةِ فِي المسجدِ: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟»؛ ثُمَّ يلتمِسُ أنْ يُوضَعَ لَهُ الماءُ فِي المُغْتَسَلِ؛ فَيَغْتَسِلُ؛ ثُمَّ يُحاوِلُ النهوضَ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فيُغْشَىٰ عليهِ، ثُمَّ لَمَّا يَفيقُ؛ يلتَمِسُ أنْ يُوضَعَ لَهُ الماءُ فِي المُغْتَسَلِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ؛ ثُمَّ يُحاوِلُ النُّهوضَ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ فَيُغْشَىٰ عليهِ، ثُمَّ لَمَّا يَفيقُ؛ يَلْتَمِسُ أنْ يُوضَعَ لَهُ المَاءُ فِي المُغْتَسَلِ؛ ثُمَّ يَغْتَسِلُ؛ ثُمَّ يحاوِلُ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 138، رقم: (687).

(2) إشارة إلىٰ ما جاء في الحديث المتفق عليه؛ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قال: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَجَلْ».

النُّهوضَ إِلَىٰ الصَّلاةِ؛ وَهُوَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَفيقُ مِنْ إِغْمَاءَتِهِ لا يَسْأَلُ إِلَّا «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟»، لَا يَسْأَلُ عَنْ غيرِهَا، ولَوْ كانَ شيءٌ أهمَّ عندَهُ وأولَىٰ مِنْهَا؛ لَسألَ عَنْهُ؛ ثُمَّ لمَّا تعذَّرَ عليهِ النُّهُوضُ؛ أَمَرَ أنْ يُصلِّيَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بالنَّاسِ إِمَامًا؛ ثُمَّ إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لمَّا وجَدَ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، وشَيْئًا مِنْ قُوَّةٍ عَلَىٰ النُّهوضِ؛ خَرَجَ إِلَىٰ المَسْجِدِ، يُهَادَىٰ بَين رجلَيْنِ، يَمْشِي بَينهمَا مُتَّكِئًا عَلَيْهِمَا يَتَمايَلُ إِلَيْهِمَا، تَخُطُّ رِجلاهُ الأَرْضَ خَطًّا، وتُجَرَّانِ جَرًّا؛ كَمَا يُحْمَلُ أحدُ هذا الزَّمانِ إلَىٰ المَشْفَىٰ ليُمَرَّضَ، ويُدَاوَىٰ؛ فَهَلْ بعدَ هذا مِنْ عُذْرٍ لِأَحَدٍ؟! وَهَلْ لَوْ رُؤِيَ أحدُ هذا الزَّمانِ يُؤْتَىٰ بِهِ إِلَىٰ المسجدِ علىٰ هذِهِ الحالِ؛ أكانَ مُسْتَساغًا عندَهُمْ؟ أَمْ سيمنَعُهُ أَهلُهُ وأَحْبابُهُ؛ مُعْتَذِرِينَ إليهِ بشدَّةِ المرضِ، وضَعْفِ القُوَّةِ؟! إِنَّا للهِ، وإنَّا إليهِ راجعونَ؛ ماتَتِ -واللهِ- هِمَمُ رِجَالِ هَذا الزَّمانِ؛ فَبِأَبِي أنْتَ وأُمِّي يَا رسولَ اللهِ؛ مَا تَرَكْتَ عُذْرًا لأحَدٍ؛ بِأَبِي أنْتَ وأُمِّي ونَفْسِي وأَهْلِي ومالِي؛ مَا أَصْبَرَكَ! ومَا أَعبَدَكَ! ومَا أَعْظَمَكَ!



## ثَانِيًا: الصَّالِحون يَتَأَسَّونَ برسولِ اللّهِ ﷺ بِلُزومِ الصَّلاةِ فِي المَساجِدِ فِي مَرَضِهِمْ

وإنَّ مِنْ عَظَمَةِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يتأسَّوْنَ برسولِ اللهِ ﷺ؛ فَلَا يَمْنَعُهُمْ شِدَّةُ المَرَضِ مِنَ الصَّلاةِ فِي المَسَاجِدِ؛ فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذي مَاتَ فِيهِ: «أَلَا احْمِلُونِي»، قَالَ: فَحَمَلُوهُ، فَأَخْرَجُوهُ، فَقَالَ: «اسْمَعُوا وَبَلِّغُوا مَنْ خَلْفَكَمْ، حَافِظُوا عَلَىٰ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا؛ لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَىٰ مَرَافِقِكُمْ وَرُكَبِكُمْ»[1].

فَهَذَا أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه الزَّاهِدُ العَابِدُ؛ يَتَأَسَّىٰ برسولِ اللهِ ﷺ، وَيَأْمُرُ أَنْ يُحْمَلَ إِلَىٰ المَسْجِدِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ حَمْلًا؛ وَهَكَذَا هُمُ الرِّجَالُ.

وَعَلَىٰ مِثْلِ هَدْيِ الصَّحَابَةِ كَانَ التَّابِعُونَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ؛ فَهَذَا الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْمٍ صَاحِبُ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه وتِلْمِيذُهُ المُصَفَّىٰ، «وكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِذْنٌ لِأَحَدٍ، حَتَّىٰ يَفْرُغَ

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 1/ 292، رقم: (3355).

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ[1]، قَالَ: فَقَالَ له عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ: يَا أَبَا يَزِيدَ، لَوْ رَآكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَأَحَبَّكَ، وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ الْمُخْبِتِينَ. وكَانَ الرَّبِيعُ بَعْدَمَا سَقَطَ شِقُّهِ[2] يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَىٰ مَسْجِدِ قَوْمِهِ، وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ[3] يَقُولُونَ: يَا أَبَا يَزِيدَ، لَقَدْ رَخَّصَ اللهُ لَكَ؛ لَوْ صَلَّيْتَ فِي بَيْتِكَ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ كَمَا تَقُولُونَ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يُنَادِي: حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، فَمَنْ سَمِعَهُ مِنْكُمْ يُنَادِي: حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ؛ فَلْيُجِبْهُ، وَلَوْ زَحْفًا، وَلَوْ حَبْوًا»[4].

---

(1) أَيْ: لَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ يَأْذَنُ لِأَحَدٍ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ؛ حتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْمٍ؛ لِشِدَّةِ حُبِّهِ لَهُ.

(2) سَقَطَ شِقُّهُ، أَيْ: أَصَابَهُ الشَّلَلُ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: «كَانَ الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْمٍ يُقَادُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ وبِهِ الفَالِجُ»، والفَالِجُ: شَلَلٌ يُصِيبُ أَحَدَ شِقَّيِ الْجِسْمِ طُولًا.

(3) هُوَ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ.

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 2/ 113.



## ثَالِثًا: الصَّالِحونَ يَلْتَمِسُونَ المَوتَ فِي بيوتِ اللّهِ تعالَى

وإنَّ مِنْ عَظَمَةِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يتأَسَّوْنَ بِرَسولِ اللهِ ﷺ بِلُزُومِ الصَّلاةِ فِي المساجِدِ عَلَىٰ مَا بِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الأَعْذَارِ؛ مُخْتارِينَ مَعالِيَ الأُمُورِ لِأَنْفُسِهِمْ، تارِكِينَ سَفْسَافَهَا(1)؛ فَعَنْ سعدِ بنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ «أَنَّهُ كانَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُ فِي الطِّينِ والمَطَرِ إِلَىٰ المَسْجِدِ، وَهُوَ مَرِيضٌ»(2). ليسَ هَذَا فَحَسْبُ؛ بَلْ لَقَدْ كانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَىٰ يَلْتَمِسُ أَنْ يَموتَ فِي بيتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فعنْ عطاءِ بنِ السائِبِ قالَ: دخلْتُ عَلَىٰ عبدِ اللهِ بنِ حبيبٍ، أَبِي عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيِّ، وهُوَ يَقْضِي فِي مَسْجِدِهِ، أَيْ: تُنْتَزَعُ روحُهُ، فَقُلْتُ: يرحمُكَ اللهُ، لَوْ تَحَوَّلْتَ إِلَىٰ فراشِكَ؛ فَإِنَّهُ أَوْثَرُ(3)؛ فقالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: «لَا يَزَالُ العَبْدُ فِي صَلاةٍ؛ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ، يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ. والمَلَائِكَةُ

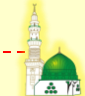
---

(1) إشارة إلىٰ ما روي عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»، أخرجه الطبراني في الكبير: 3/ 131، رقم: (2894)، وصَحَّحَهُ الألباني.

* ومعنىٰ سفسافها: صغائرها، ورديئها.

(2) الزهد والرقائق، لابن المبارك، والزهد، لنعيم بن حماد: 1/ 141، رقم: (419).

(3) أوثر، ألين، الفراش الوثير: المريح الوطيء اللين.



تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، قالَ: فَأُرِيدُ أنْ أَمُوتَ، وأَنَا فِي مَسْجِدِي»[1].

## رَابِعًا: شَوْقُ الصالحينَ إِلَى الصَّلاةِ فِي المَساجِدِ والتَّهَيُّؤُ لها قبلَ وقتِهَا

ولَقَدْ بلغَ مِنْ عظيمِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْتَاقُونَ إِلَىٰ الصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالَىٰ أشدَّ مِنِ اشتياقِهِمْ إِلَىٰ أعزِّ مَنْ غابَ عَنْهُمْ مِنْ أحبابِهِمُ الزَّمَانَ الطَّويلَ؛ فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: «مَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ إِلَّا وَأَنَا إِلَيْهَا بِالْأَشْوَاقِ، وَمَا دَخَلَ وَقْتُ صَلَاةٍ قَطُّ إِلَّا وَأَنَا لَهَا مُسْتَعِدٌّ»[2].

وإِنَّهُمْ لَمْ يكونُوا رَحِمَهُمُ اللهُ تعالَىٰ ينتظرونَ الصلاةَ أنْ يُنَادَىٰ إِلَيْهَا؛ حتَّىٰ يَتَهَيَّؤُوا لَهَا؛ إِنَّمَا كانُوا يَتَأَهَّبُونَ لها قبلَ وقْتِهَا؛ قالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ

---

(1) الزهد والرقائق، لابن المبارك: 1/ 141، رقم: (420)، والطبقات الكبرىٰ، لابن سعد: 6/ 214.

(2) الزهد، لأحمد: 1/ 165.



رضي الله عنه: «لا تنتظِرُوا بالصَّلاةِ أنْ يُنادَىٰ بِها، ولكنْ تَأَهَّبُوا لَهَا؛ فَأْتُوها وعليكُمُ السَّكينَةُ والوَقارُ»[1].

ولَقَدْ كانُوا رَحِمَهُمُ اللهُ تعالَىٰ يُعَظِّمون شَأْنَ الصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالَىٰ أَنْ يَتَأَخَّرُوا عَنْهَا، فكانُوا يَعُدُّونَ الخُطَا إِلَيْها قَبْلَ الأذانِ مِنْ تعظيمِهَا وتوقِيرِهَا، قالَ سفيانُ الثَّوْرِيُّ: «مَجِيئُكَ إلىٰ الصلاةِ قبلَ الإِقَامَةِ توقيرٌ للصَّلاةِ»[2].

## خَامِسًا: حِرْصُ الصَّالِحِينَ عَلَى تكبيرَةِ الإِحْرامِ فِي المساجِدِ

وإنَّ مِنْ عَظَمَةِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْتَدِرونَ عِنْدَ الأذانِ، ويُخَلُّونَ الأسواقَ للصِّبْيانِ وأهلِ الذِّمَّةِ، وكانُوا يَسْتَأْجِرُونَهُمْ بالقَرَارِيطِ لِحِفْظِ الحَوانِيتِ فِي أوقاتِ الصَّلواتِ، وكانَ ذلِكَ مَعِيشةً لَهُمْ ودَأْبًا[3]؛ لِمَا تَقَرَّرَ لَدَيْهِمْ مِنْ أنَّ التَّبْكيرَ للصلاةِ فِي المساجِدِ مِنْ أفضل أعمالِ البِرِّ الزَّاكِيَةِ، وأَنَّهُ لا عَمَلَ أفضلُ مِنَ الصلاةِ

---

(1) انظر: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر: 1/ 339.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب: 5/ 353.

(3) انظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 2/ 85.

وانتظارِها، ولُزوم المساجِدِ مِنْ أَجْلِها[1]؛ ولقدْ رُوِيَ مِنْ حِرْصِ الصالحينَ منْ سَلَفِ الأُمَّةِ وخَلَفِها علىٰ تكبيرةِ الإحرامِ الشَّيْءُ الكثيرُ، فَمِنْهُمْ مَنْ لمْ يَفُتْهُ الصفُّ الأولُ فِي المسجدِ العقودَ المُتَتَابعَةَ؛ فهذا المُحَدِّثُ الثِّقَةُ، بِشْرُ بنُ الحَسَنِ، كان يقَالُ لَهُ الصَّفِّيُّ؛ «لأَنَّهُ كَانَ يلزمُ الصَّفَّ الأَوَّلَ فِي مسجِدِ البَصْرَةِ خمسينَ سَنَّةً»[2].

ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَفُتْهُ تكبيرةُ الإحرامِ فِي بيوتِ اللهِ تعالَىٰ الزَّمانَ الطَّويلَ؛ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ﵁: «مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً إِلا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ»[3]، وقالَ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: «مُنْذُ أربعينَ سَنَةً مَا فَاتَتْنِي تَكْبِيرَةُ الإحرامِ فِي جماعَةٍ، وكانَ يُسَمَّىٰ حمامَةَ المَسْجِدِ»[4].

وذُكِرَ عَنِ الأعمشِ أنَّهُ قَالَ: «لمْ تَفُتْنِي صلاةُ الجماعَةِ ما يقرُبُ مِنْ أربعينَ سَنَّةً؛ إلَّا مرَّةً واحدةً حينَ ماتَتْ والدَتُهُ، اشْتَغَلَ بتجْهيزِها»[5]،

---

(1) الاستذكار، للقرطبي: 2/ 367.

(2) موارد الظمآن لدروس الزمان، للسلمان: 2/ 480.

(3) الزهد، لأحمد: 1/ 310.

(4) قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي: 2/ 168.

(5) المصدر السابق.



وقالَ عبدُ الرَّزَّاقِ: «مِنْ عشرينَ سَنَةً مَا سَمِعْتُ الأذانَ إِلَّا فِي المسجدِ»[1].

إِنَّنَا واللهِ، لَا نَجِدُ لَنَا ولهؤلاءِ الأكابِرِ مثلًا، إِلَّا مَا قالَ أَبو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه وَذَكَرَ أَخْلاقَ الوَرِعِينَ؛ فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللهَ أَنْ لَا يَمْقُتَنَا؛ أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَؤُلاءِ؟»[2].

## سَادِسًا: مُبَادَرَةُ الصَّالِحينَ للمَساجِدِ عِنْدَ الأَذَانِ

ولقد بلغَ مِنْ عظيمِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أنه كان يَكْبُرُ فِي نفوسِهِمْ أنْ يسمعَ أحدُهُمُ الأذانَ، ثُمَّ لا يبادِرُ للإِجابَةِ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: «لِأَنْ تَمْتَلِئَ أُذُنِ ابْنِ آدمَ رَصاصًا مُذابًا خيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يسمعَ النِّداءَ، وَلَا يُجيبَ»[3].

وإنَّ مِنْ عجيبِ أخبارِهِمْ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَىٰ ما ذُكِرَ مِنْ خبرِ إبراهيمَ بنِ ميمونٍ المَرْوَزِيِّ، وقد كانَ مِنْ أصحابِ عَطاءِ بنِ أَبِي رَباحٍ، وكانتْ مِهْنَتُهُ الصِّياغَةَ، وطَرْقَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، قَالُوا: كَانَ فقيهًا فاضِلًا من

(1) المصدر السابق.

(2) الورع، لأحمد: 1/ 6.

(3) الكبائر، للذهبي: 1/ 30.



الأَمَّارِينَ بالمعروفِ، قَالَ ابنُ مَعينٍ: «كَانَ إِذَا رفعَ المِطْرَقَةَ، فَسمِعَ النِّداءَ؛ لَمْ يَرُدَّهَا»[1].

## سَابِعًا: حِرْصُ الصَّالِحينَ عَلَى الصَّلاةِ فِي المَسْجِدِ صبيحَةَ زواجِهِمْ

وإِنَّ مِنْ عَظَمَةِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كانُوا لا يمنعُهُمْ مِنَ الصَّلاةِ فِي بيوتِ اللهِ تعالىٰ مانِعٌ؛ فَكانَ أحدُهُمْ يشهدُ صَلاةَ الصُّبْحِ فِي المسجدِ صبيحَةَ تَعْرِيسِهِ بأهلِهِ؛ فَعَنْ عَنْبَسَةَ بنِ الأَزْهَرِ، عَنْ سِمَاكِ بنِ حربٍ، قالَ: «تزوَّجَ الحارِثُ بنُ حَسَّانٍ، وكانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، وكانَ الرَّجُلُ إِذْ ذَاكَ إذا تَزَوَّجَ تَخَدَّرَ[2] أيامًا؛ فلا يخرُجُ لِصلاةِ الغَدَاةِ، فقيلَ لَهُ: أتخرجُ؟! وَإِنَّمَا بَنَيْتَ بأهلِكَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ؟ قالَ: واللهِ إِنَّ امرأَةً تَمْنَعُنِي مِنْ صلاةِ الغَدَاةِ في جَمْعٍ لَامْرَأَةُ سُوءٍ»[3].

---

(1) موارد الظمآن لدروس الزمان، للسلمان: 2/ 480.

(2) تَخَدَّرَ أيامًا: لزم بيته أيامًا أول مدة زواجه؛ إيناسًا لزوجته.

(3) المعجم الكبير، للطبراني: 3/ 253، رقم: (3324)، حسن.



## ثَامِنًا: اتِّهامُ الصَّالحينَ المُتَبَاطِئينَ عَنِ الصَّلاةِ فِي المَساجِدِ

ولقدْ بلغَ مِنْ عظيمِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كانوا يَعِيبُونَ عَلَىٰ الواحِدِ مِنْهُمْ أنْ يأتِيَ إِلَىٰ المَساجِدِ بعدَ سماعِ الأذانِ، ويَتَنَاهَوْنَ عَنْ ذلِكَ كَمَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ أَنْ يَفْعَلُوهُ؛ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «لا تَكُنْ مِثْلَ عَبْدِ السُّوءِ، لا يَأْتِي حَتَّىٰ يُدْعَىٰ؛ ائْتِ الصَّلاةَ قَبْلَ النِّدَاءِ»[1].

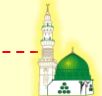
ولَقَدْ كانُوا رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالَىٰ يَعُدُّونَ مَنْ يتهاونُ فِي التَّكْبيرَةِ الأُولَىٰ وَسَخًا يَجْدُرُ التَّخَلُّصُ مِنْ صُحْبَتِهِ، قَالَ وَكِيعٌ: «مَنْ تَهَاوَنَ بِالتَّكْبِيرَةِ الْأُولَىٰ فَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْهُ»[2]، وكانَ إبراهيمُ التَّيْمِيُّ يقولُ: «إذا رأيْتَ الرَّجُلَ يتهاونُ في التَّكْبيرَةِ الأُولَىٰ؛ فاغْسِلْ يديْكَ مِنْهُ»[3].

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعَيْمٍ: 7/ 285.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعَيْمٍ: 8/ 370.

(3) الطبقات الكبرىٰ، للشعراني: 1/ 36.



### تَاسِعًا: حَسْرَةُ الصَّالِحِينَ على فَوَاتِ الجَمَاعَةِ

وإنَّ مِنْ عَظَمَةِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أَنَّهُمْ كانوا يَتَحَسَّرُونَ عَلَىٰ فَوَاتِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ أَشَدَّ مِنْ تَحَسُّرِهِمْ عَلَىٰ فَواتِ مُلْكِ الأَرْضِ؛ «فرُوِيَ أَنَّ مَيْمونَ بنَ مِهْرانَ أَتَىٰ المسجدَ، فقيلَ لَهُ: إنَّ النَّاسَ قَدِ انْصَرَفُوا؛ فقالَ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ؛ لَفَضْلُ هذهِ الصلاةِ أحبُّ إليَّ مِنْ ولايةِ العراقِ»[1].

### عَاشِرًا: تَعَهُّدُ الخُلَفاءِ الصَّالحينَ النَّاسَ للصَّلواتِ، وتَفَقُّدُهُمْ فِيهَا

ولقد بلغَ مِنْ عظيمِ قَدْرِ المَساجِدِ فِي نُفوسِ الخُلَفاءِ والقادَةِ الصَّالحينَ فِيمَا مَضَىٰ أنَّهُمْ كانُوا يَتَعَهَّدُونَ الرَّعِيَّةَ للصَّلواتِ فِي المساجِدِ، ويَتَفَقَّدُونَهُمْ فِيها، كَمَا يَتعَهَّدُونَ أبناءَهُمْ؛ فَقَدْ فَقَدَ عُمَرُ ﵁، رَجُلًا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ؟» فقَالَ: كُنْتُ مَرِيضًا، وَلَوْلَا أَنَّ رَسُولَكَ أَتَانِي لَمَا خَرَجْتُ، فَقَالَ عُمَرُ: «فَإِنْ كُنْتَ خَارِجًا إِلَىٰ أَحَدٍ؛ فَاخْرُجْ لِلصَّلَاةِ»[2]؛ فاسْتَنْكَرَ عليهِ أَنَّهُ خَرَجَ لِعُمَرَ ﵁ عِنْدَ سَماعِ

---

(1) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: 1/ 149.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 1/ 303، رقم: (3462).



نِدَائِهِ، ولَمْ يَخْرُجْ للهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ سَماعِ نِدَائِهِ؛ فالمَرَضُ الذِي يَمْنَعُ مِنَ المَساجِدِ يَمْنَعُ مِنَ الخليفَةِ ومِنْ كُلِّ الأُمُورِ؛ وإِنَّ مَرَضًا يَمْنَعُ مِنَ المَساجِدِ، ولا يَمْنَعُ مِنَ الأعمالِ الأخرَىٰ لِيْسَ بِمَرَضٍ.

وهَذَا أَبُو الحَسَنِ ﵁ يَتَعَهَّدُ المسلمِينَ للصَّلاةِ وَهُوَ خليفَةٌ، مُهَدَّدٌ بالاغْتِيالِ مِنَ الخَوارِجِ؛ فَعَنِ الحَسنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تعالَىٰ عَنْهُمَا: أنَّ ابْنَ النَّبَّاحِ المُؤَذِّنَ دَخلَ عَلَىٰ عَلِيٍّ ﵁، فقالَ: الصَّلَاةَ؛ فأخذْتُ بيدِهِ، فقامَ يَمْشِي، وابنُ النَّبَّاحِ بينَ يَدَيْهِ، وأنَا خَلْفَهُ؛ فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ البابِ، نادَىٰ: أَيُّها النَّاسُ، الصلاةَ، الصلاةَ؛ كذلِكَ كانَ يَفْعَلُ فِي كُلِّ يومٍ، يخرُجُ ومَعَهُ دِرَّتَهُ؛ يُوقِظُ النَّاسَ[1].

(1) الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد: 3/ 26.









أَلَا فليكُنِ العُبَّادُ فِي هَذَا الزَّمَانِ علَىٰ «مَا كانَ عليهِ آباؤُهُمْ وأجدادُهُمُ العُبَّادُ الكِرَامُ، الذِينَ كانتِ المساجدُ تَغُصُّ بِهِمْ شُيُوخًا وشُبَّانًا، وكانَتْ تَعُجُّ بأصواتِهِمْ تَسْبيحًا، وتَحْميدًا وتَهْليلًا، وتكْبيرًا، واستغفارًا، وقرآنًا، وكانوا يَؤُمُّونَ المساجدَ قبل الأذان زَرَافاتٍ[1] وَوُحْدَانًا، ولا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ إلا معذورٌ: إِمَّا مريضٌ أو غائبٌ، أو نَحْوُ ذلكَ، وكانَ المارُّ بِبُيُوتِهِمْ ليلًا يَسْمعُ زَجَلَ التَّسْبيحِ، والتَّهْليلِ، والبُكاءِ والأنينِ والتَّضَرُّعِ إِلَىٰ بديعِ السمواتِ والأرضِ، والإلحاحِ بدعائِهِ، والالْتجاءِ والإنابةِ إليه»[2].



(1) الزَّرَافةُ: الجماعة من الناس، والجمع: زَرافات.

(2) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، للسلمان: 1/ 239.



# المَسْجِدُ مِنْ وَحْيِ القَلَمِ

قالَ الرَّافِعِيُّ فِي وَحْيِ القَلَمِ: «عَرَفْتُ -واللهِ- مِنْ معنَىٰ المسجِدِ ما لَمْ أَعْرِفْ، حتَّىٰ كأنِّي لَمْ أدخُلْهُ مِنْ قبلُ، فانْكَشَفَ لِيَ المَسْجِدُ فِي نورِهِ الرُّوحِيِّ عَنْ مَعانٍ أَدْخَلَتْنِي مِنَ الدُّنْيا فِي دُنيا عَلَىٰ حِدَةٍ؛ فَمَا المسجِدُ بِنَاءً ولَا مكانًا كَغيرِهِ مِنَ البناءِ والمكانِ، بلْ هُوَ تصحيحٌ للعالَمِ الذِي يموجُ مِنْ حولِهِ ويَضْطَرِبُ؛ فإنَّ فِي الحياةِ أسبابَ الزَّيْغِ والباطِلِ والمُنافَسَةِ والعداوَةِ والكَيْدِ ونَحوِهَا، وهذِهِ كُلُّهَا يَمْحُوهَا المسجِدُ؛ إِذْ يجمَعُ النَّاسَ مِرارًا فِي كلِّ يومٍ علَىٰ سلامَةِ الصَّدْرِ، وبراءَةِ القَلْبِ، ورَوْحَانِيَّةِ النَّفْسِ؛ ولا تدخلُهُ إنسانِيَّةُ الإنسانِ إلَّا طاهِرَةً مَنَزَّهَةً، مُسْبِغَةً عَلَىٰ حدودِ جِسْمِها مِنْ أعلاهُ وأسفلِهِ شِعَارَ الطُّهْرِ الذِي يُسَمَّىٰ الوُضوءَ، كأنَّما يَغْسِلُ الإنسانُ آثارَ الدُّنيا عَنْ أعضائِهِ قَبْلَ دُخُولِهِ المَسْجِدَ...

ثُمَّ يستوِي الجَميعُ فِي هَذَا المسجِدِ اسْتواءً واحِدًا، ويَقِفُونَ مَوْقِفًا واحِدًا، ويَخْشَعُونَ خُشوعًا واحِدًا، ويكونُونَ جَمِيعًا فِي نَفْسِيَّةٍ واحِدَةٍ؛

ولَيْسَ هَذَا وحدَهُ، بَلْ يَخِرُّونَ إِلَىٰ الأرضِ جَمِيعًا ساجِدينَ للهِ تعالَىٰ؛ فليسَ لِرَأْسٍ علَىٰ رَأْسٍ ارتفاعٌ، وَلَا لِوَجْهٍ علَىٰ وجهٍ تَمْييزٌ؛ ومِنْ ثَمَّ فلَيْسَ لِذَاتٍ علَىٰ ذاتٍ سُلطانٌ؛ وَهَلْ تُحقِّقُ الإِنْسانِيَّةُ وَحْدَتها فِي النَّاسِ بِأَبْدَعَ مِنْ هَذَا؟ ولَعَمْرِي أينَ يَجِدُ العالَمُ صوابَهُ إِلَّا هَاهُنَا؟...

فالمَسْجِدُ هُوَ فِي حقيقَتِهِ مَوْضِعُ الفِكْرَةِ الواحِدَةِ الطَّاهِرَةِ المُصَحِّحَةُ لِكلِّ مَا يَزِيغُ بِهِ الاجْتِمَاعُ... هُوَ فِكْرٌ واحِدٌ لِكُلِّ الرُّؤوسِ؛ ومِنْ ثَمَّ فَهُوَ حَلٌّ واحِدٌ لِكُلِّ المَشَاكِلِ...

وكَمَا يَشُقُّ النَّهْرُ الأَرْضَ؛ فَتَقِفُ عِنْدَ شَاطِئَيْهِ لا تَتَقَدَّمُ، يُقَامُ المسجِدُ؛ فتقِفُ الأرْضُ بمعانِيها التُّرابِيَّةِ خَلْفَ جُدْرَانِهِ، لا تَدْخُلُهُ...

فالمَسْجِدُ بِهِمْ كالسُّنْبُلَةِ مُلِئَتْ حَبًّا مَا بينَ أوَّلِهَا وآخِرِهَا؛ فَلَيْسَ فِيهِنَّ علَىٰ الكَثْرَةِ حَبَّةٌ واحِدَةٌ تُمَيِّزُهَا السُّنْبُلَةُ فَضْلَ تَمْييزٍ، لَا فِي الأَعْلَىٰ ولا فِي الأسفَلِ...

ومَا حَرَكَةٌ فِي الصَّلاةِ إِلَّا أَوَّلُها «اللهُ أكبرُ» وآخِرُهَا «اللهُ أكبرُ»؛ فَفِي رَكْعَتَيْنِ مِنْ كُلِّ صلاةٍ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ تكْبِيرةً، يجهرُ المُصَلُّونَ بِهَا بلسانٍ واحِدٍ؛ وكَأَنِّي لَمْ أَفطَنْ لِهَذَا مِنْ قَبْلُ، فَأَيُّ زِمَامٍ سِياسِيٍّ للجَمَاهِيرِ





ورَوْحَانِيَّتِهَا أَشَدُّ وأَوْثَقُ مِنْ زِمَامِ هَذِه الكَلِمَةِ التِي هِيَ أَكْبَرُ مَا فِي الكَلامِ الإِنْسَانِيِّ؟...

بينَ الوَقْتِ والوقتِ مِنَ اليَوْمِ، تَدُقُّ سَاعَةُ الإِسْلامِ بَهَذَا الرَّنِينِ: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، كَمَا تَدُقُّ فِي مَوْضِعٍ؛ لِيَتَكَلَّمَ الوَقْتُ بِرَنِينِهَا.

اللهُ أكبرُ! بينَ ساعاتٍ وساعاتٍ مِنَ اليومِ تُرْسِلُ الحياةُ فِي هَذِهِ الكَلِمَةِ نداءَهَا، تَهْتِفُ: أَيُّها المُؤمِنُ، إنْ كُنْتَ أَصَبْتَ فِي الساعاتِ التِي مَضَتْ؛ فاجْتَهِدْ للساعاتِ التِي تَتْلُو، وإِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتَ؛ فَكَفِّرْ، وامْحُ ساعَةً بِساعَةٍ؛ الزَّمَنُ يمحُو الزَّمَنَ، والعَمَلُ يُغَيِّرُ العَمَلَ، ودَقيقَةٌ باقِيَةٌ فِي العُمُرِ هِيَ أَمَلٌ كبيرٌ فِي رَحْمَةِ اللهِ تعالَىٰ...

بينَ ساعاتٍ وساعاتٍ مِنَ اليومِ يَعْرِضُ كُلُّ مؤمنٍ حسابَهُ، فيقومُ بينَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ويرفَعُهُ إليهِ. وكيفَ يكونُ مَنْ لا يزالُ ينتظِرُ طولَ عُمُرِهِ فيما بينَ ساعاتٍ وساعاتٍ (اللهُ أكبرُ؟)...

بينَ الوقتِ والوقْتِ مِنَ النَّهَارِ واللَّيْلِ تُدَوِّي كَلِمَةُ الرُّوحِ: (اللهُ أكبرُ)، ويُجِيبُهَا النَّاسُ: (اللهُ أكبرُ)؛ لِيَعْتَادَ الجماهِيرُ كيفَ يُقادُونَ إِلَىٰ الخَيْرِ بِسُهولَةٍ، وكيفَ يُحَقِّقونَ فِي الإِنْسَانِيَّةِ مَعْنَىٰ اجتماعِ أهلِ البيتِ الواحِدِ؛

فتكونَ الاستجابَةُ إِلَىٰ كُلِّ نِداءٍ اجتماعِيٍّ مَغْروسَةً فِي طَبيعَتِهِمْ بغيرِ اسْتِكْرَاهٍ...

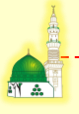
النَّفْسُ أَسْمَىٰ مِنَ المادَّةِ الدَّنِيئَةِ، وأقوَىٰ مِنَ الزَّمَنِ المُخَرَّبِ، ولا دِينَ لِمَنْ لا تَشْمَئِزُّ نفسُهُ مِنَ الدَّناءَةِ بأَنَفَةٍ طَبِيعِيَّةٍ، وتَحْمِلُ هُمومَ الحياةِ بِقُوَّةٍ ثَابِتَةٍ...

لا تَضْطَرِبُوا؛ هَذا هُوَ النِّظامُ، لَا تَنْحَرِفُوا؛ هَذَا هُوَ النَّهْجُ، لا تَتَراجَعُوا؛ هَذَا هُوَ النِّداءُ، لَنْ يَكْبُرَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ؛ مَا دَامَتْ كَلِمَتُكُمْ: (اللهُ أَكْبَرُ!)»[1]...

---

(1) وحي القلم، للرافعي: 1/ 286.



# خَاطِرَةُ المَسْجِدِ

المَسْجِدُ صِلةُ العبدِ بربِّهِ، والمخلوقِ بخالقِهِ، والدُّنْيا بالآخِرَةِ، والأرْضِ بالسَّماءِ... فيهِ -لا فِي غيرِهِ- تَجِدُ القُلوبُ المَجْروحَةُ الطِّبَّ والدَّواءَ، وتَجِدُ النُّفوسُ المَكلومةُ السَّكِينةَ والهَناءَ، وتَجِدُ الأَرْواحُ المُعَذَّبةُ الرَّوحَ والرَّيْحانَ، وتَجِدُ الأبْدانُ المَهْدودةُ الرَّاحةَ والاطْمِئْنانَ، وتَجِدُ البَشَرِيَّةُ الطَّرِيدَةُ الأُنْسَ والأَمَانَ...

هُوَ مأوًى لكل مُلْتاعٍ مَطْلوبٍ، وسَكَنٌ لكلِّ مَحزونٍ مَكروبٍ، وراحةٌ لكلِّ مُتْعَبٍ مَكدودٍ، وقُوَّةٌ لكلِّ مُنْهَكٍ مهدودٍ...

يَجِدُ فيهِ الفَقيرُ قُوتَه وغِناهُ، ويَجِدُ الغَنِيُّ رَاحتَهُ ومُنتهاهُ، ويَجِدُ الحَائِرُ التَّائِهُ مُبتغاهُ، ويَجِدُ المِسْكينُ الوَضيعُ رِفعتَهُ وسَلْواهُ، ويَجِدُ فيهِ اليَتِيمُ أَمَّهُ وأَبَاهُ...

فيهِ يَشفىٰ كُلُّ سَقِيمٍ، ويَبرَىٰ كُلُّ عَليلٍ، ويُجْبَرُ كُلُّ كَسيرٍ، ويَشْرُفُ كُلُّ وَضيعٍ، ويَسْمُو كُلُّ رَفِيعٍ... تَنكَسِرُ فيهِ النُّفوسُ وتَلِينُ، وتَسْتَسْلِمُ لَرَبِّهَا وتَسْتَكِينُ، وتَتَنَحَّىٰ الشَّيَاطِينُ عَنْهُ وتَلُوذُ، وتَخْشَعُ الجَوارِحُ لِرَبِّهَا

وتَعوذُ... فيهِ يَخْشعُ القلبُ ويَرِقُّ ويَسْتَكِينُ، ويُخْبِتُ إِلَىٰ رَبِّهِ ويُنِيبُ، ويَتهيَّأُ لكُلِّ خَيْرٍ بهيجٍ؛ فَتَسِحُّ العينُ ماءَها، وتَسْكُبُ غُدُرًا رَيَّةً علَىٰ مَا فَاتَهَا، فتَرْوِي كلَّ مَا يَبَسَ، وتَغْسِلُ كلَّ مَا اتَّسَخَ، وتَطْهُرُ كلُّ جَارِحَةٍ، وتَنبُتُ خِصالُ الخَيْرِ يانِعَةً...

يستَوِي فيهِ الغَنِيُّ والفقيرُ، الكَبيرُ والصَّغيرُ، العَظيمُ والوَضيعُ، المَلِكُ والمَمْلوكُ، السَّيِّدُ والمَسودُ، العَاصِي والمُطيعُ، فِي صَفٍّ واحِدٍ، خلفَ إمامٍ واحِدٍ، بينَ يَدَيْ رَبٍّ واحِدٍ...

هُوَ مَتابٌ لكلِّ آيِبٍ، ومغفِرَةٌ لكلِّ عَاصٍ، وإِقالةٌ لِكُلِّ عَاثِرٍ، ومَرْفأٌ لكلِّ إنسانٍ... يقبِسُ مِنْهُ كُلُّ مُهْتدٍ هُداهُ، ومِنْهُ ينهلُ كُلُّ عالِمٍ ظامِئٍ عِلْمَهُ ومُرتَواهُ... يعقِدُ فيهِ العَبْدُ الصَّفقَاتِ الرَّابِحاتِ، وينالُ المِنَحَ والهِبَاتِ، ويَفُوزُ بالظَّفَرِ والأُعطِيَّاتِ...

يَتَبَشْبَشُ فيهِ المَلِكُ العظيمُ للعَبْدِ الذَّليلِ، ويَضْحَكُ فيهِ الرَّبُّ الكَبيرُ للإنسانِ الصَّغيرِ، يَجْلِسُ فيهِ العبدُ علَىٰ بِسَاطِ مَلِكِ المُلوكِ، ومَنْ مِثْلُ جَليسِ مَلِكِ المُلُوكِ؟!...

فيهِ تَتنَزَّلُ عَلَىٰ قُلُوبِ المُؤْمِنينَ السَّكِينات، وتَتَغَشَّاهُمُ الرَّحمات، ويَذْكُرُهُمُ اللهُ فِي مَلَكِ الأَرْضِ ومَلَكِ السَّمَاواتِ!...

المَسْجِدُ تَرْتيلُ القُرْآنِ، المَسْجِدُ آياتُ الرَّحْمنِ، المَسْجِدُ تكبيرُ أذانٍ، المَسْجِدُ دمعةُ إِنْسانٍ، المَسْجِدُ لوعةُ تَحْنَانٍ[1]، المَسْجِدُ تسبيحُ رجالٍ، المَسْجِدُ صَرْخَةُ أَوَّاهٍ[2]، وإنْ شِئْتَ فَقُلْ بِلِسانِ الحُبِّ، بِدَمْعِ الصَّبِّ[3]، بِنَفْسِ النَّفْسِ، بِرُوحِ الرُّوحِ، مِنْ قَلْبِ القَلْبِ: هُوَ بَيْتُ اللهِ... هُوَ بَيْتُ اللهِ... هُوَ بَيْتُ اللهِ...!!!





---

(1) تَحْنَان: شوق شديد.

(2) أَوَّاهٍ: كَثِيرُ التَّأَوُّهِ والخوفِ والتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ والخُشُوعِ والتَّوَجُّعِ والشَّفَقَةِ والتَّوبَةِ.

(3) الصَّبُّ: الشَّوقُ الشَّديدُ.





# خاتمة

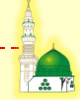
وَبَعْدَمَا رَأَيْتَ مِنْ عَظَمَةِ قَدْرِ المساجِدِ مَا رَأَيْتَ، وَبَعْدَمَا عَرَفْتَ مِنْ عَظَمَةِ أَجْرِ أَهْلِهَا، وشَرَفِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ تعالىٰ مَا عَرَفْتَ... بَعْدَمَا عَرَفْتَ أنَّ المَسَاجِدَ مِضْمَارُ السِّبَاقِ، وثَغْرُ الرِّبَاطِ، ومَوْطِنُ الاعتكافِ، وأنَّ الملائكِةَ تَغْدُو مَعَ أَهْلِهَا بِرَاياتِهَا، وأَنَّها فيها جلساؤُهُمْ وعُوَّادُهُمْ، وأنَّ لِأهلِ المَساجِدِ فِي صُفُوفِ مساجِدِهِمْ شَبَهًا بِكِرَامِ الملائِكَةِ، وأنَّ اللهَ تعالَىٰ يُصَلِّي عليهِمْ فيها وملائِكَتَهُ، وأنَّ السَّكِينَةَ فيها تـتَـنَـزَّلُ عَلَىٰ مَجَالِسِهِمْ، وتتَغَشَّاهُمُ الرَّحْمَةُ، وتَحُفُّهُمُ الْمَلَائِكَةُ، ويَذْكُرُهُمُ اللهُ تعالىٰ فِيمَنْ عِنْدَهُ؛ وأن اللهَ تَعالَىٰ يُبَاهِي بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ في السَّمَاءِ، وأَنَّ مِنْ مساجِدِهِمْ يَقْبِسُونَ نُورَهُمُ التَّامَّ فِي مَواقِفِ القيامَةِ وظِلَّهُمُ الظَّلِيلَ مِنْ حَرِّ شمسِهَا، وَجَوازَهُمُ السَّرِيعَ عَلَىٰ مَتْنِ صِرَاطِهَا، وأنَّ فِيهَا يَتَبَشْبَشُ الرَّبُّ الجَلِيلُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ ويَضْحَكُ بِزِيارَتِهِمْ، وأنَّ لَهُمْ مَغْفرةً لِذُنُوبِهِمْ، ورِفْعَةً لِدَرَجَاتِهِمْ، وهِدايَةً لِنُفُوسِهِمْ، وطُمَأْنِينَةً لِقُلُوبِهِمْ، وقُرَّةً لِعُيونِهِمْ، وَأنَّ فِيهَا مِنَ النِّفَاقِ وَمِنَ النَّارِ أَمْنَهُمْ وأَمَانَهُمْ، وأنَّ الخُطَا إِلَيْهَا خُطًا فِي

سبيلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ واحِدَتُهَا بِأَجْرِ سَنَةٍ صِيَامًا وقِيَامًا؛ وَأَنَّها قُنُوتُهُمْ وقِيَامُهُمْ وقَرَابِينُهُمْ إِلَىٰ سَيِّدِهِمْ ومَلِيكِهِمْ، وأَنَّها قَصْدُ حَجِّهِمْ وعُمْرَتِهِمْ كُلَّ يومٍ خَمْسَ مِراتٍ؛ وأَنَّها سببٌ فِي مُجَاوَرَةِ الرَّبِّ العَظِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ...

وأَنَّ التَّخَلُّفَ عَنْهَا بُعْدٌ عَنْ سُنَنِ الهُدَىٰ، وأَمَارَةُ نِفَاقٍ، وَطَبْعٌ عَلَىٰ القُلُوبِ، وغَفْلَةٌ عَمَّا يَنْفَعُ فِي الآخِرَةِ، واسْتِحْواذٌ للشَّيَاطِينِ، وأَنَّ تَأَخُّرَهُمْ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّلِ مِنْهَا تَأَخُّرٌ فِي النَّارِ عَنْ دُخُولِ الجَنَّةِ...

بَعْدَمَا رَأَيْتَ كُلَّ هَذَا وعَرَفْتَهُ؛ أَلَمْ يَأْنِ لكَ أَنْ تَتَّخِذَ القَرَارَ مَعَ نَفْسِكَ بالالتزامِ التَّامِّ فِي المَساجِدِ فِي صلواتِكَ كُلِّهَا، وأَلَّا يفوتَكَ مِنْهَا صلاةٌ، وأَنْ تكونَ تِجَارَتَكَ الرَّابِحَةَ فيمَا بَقِيَ لكَ مِنْ عُمُرٍ، وأَنْ تَحْمِلَ أولادَكَ ومَنْ تَلِي مِنَ المُسْلمينَ عَلَيْها، وأَنَّ تُعَظِّمَ قَدْرَهَا، وتُعَظِّمَ قَدْرَ أَهْلِهَا، وأَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ إِلَيْهَا؛ فَلَكَ حِينَئِذٍ الرِّبْحُ المَضْمونُ، والفَوْزُ الأَكِيدُ؛ بِوَعْدِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ ﷺ!





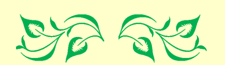
تَمَّ تمامُ هذهِ المادَّةِ بِحَمْدِ اللهِ تعالَىٰ، وَعَظِيمِ مِنَّتِهِ، فجر يَوْمِ الثلاثاء: 14 جمادىٰ الأولىٰ 1442هـ، المُوافِقُ: 29/ 12/ 2020م؛ والحَمْدُ للهِ الذِي بِنَعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحاتُ.

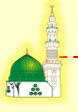
ثُمَّ إِنَّنِي سَائِلٌ ربًّا كَرِيمًا، بَرًّا رَحِيمًا أَنْ يَجْزِيَ خَيْرًا كَثيرًا كُلَّ مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ هَذَا الكِتَابِ مِنْ إِخْوانِي الأَبْرَارِ، الذِينَ أُعَنِّيهِمْ مَعِيَ مَشَقَّةَ إِخْرَاجِ الكِتَابِ.

**وصلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وبارَكَ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ سَائِرِ النَّبِيِّينَ وآلِهِ وصَحْبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ إِلَىٰ يَوْمِ القِيامَةِ.**

**وكتبه**

**زكريا بن طه شحادة**





# مُحتَوياتُ الكِتابِ




تم بحمد الله



